

رسالة  
الى السيد السيستاني

---

غالب حسن الشابندر

اسم الكتاب : رسالة الى السيد السيستاني

المؤلف : غالب حسن الشابندر

---

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الاولى : بيروت ٢٠٢٣

---

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب او أي جزء منه أو تجزئته في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

---

الآراء المنشورة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي دار النشر.

---



بغداد - كرامة داخل - جانب الجسر المعلق - باتجاه  
فندق بابل

0096407711129836

**رسالة**

**الى السيد السيستاني**

**غالب حسن الشابندر**





# الاهداء

إلى دموعي



## المحتويات

- نظرة على السيستانية ..... ٩
- وإلى متى هذا الضياع ابا محمد رضا؟ ..... ١٥
- أوضاعنا مزرية هل هناك شك؟ ..... ٢٣
- الألوهية الصدامية تجاه شيعة العراق ..... ٥٣
- صدام حسين و(الانتماء) استبداد أم شمولية .... ٦٣
- صدام حسين و(سنة العراق) ..... ٧٥
- متى بدأ شيعة العراق المطالبة بحقوقهم؟ ..... ٨٣
- شيعة العراق بين انقلابين بعثيين ..... ٩١
- الشيعة في ظل حكومة عبد السلام عارف مفارقات  
واستنتاجات ..... ١٠١
- فرصة أخرى يضيّعها الشيعة ..... ١٠٩
- وجاء البعث ليبقى ..... ١٢٣
- وأين كان محمد باقر الصدر؟ ..... ١٤٣
- الظاهرة «الصدرية» ما لها وما عليها ..... ١٥٣
- المشهد المخيف قبل سقوط صدام ..... ١٦٩
- الاجتماع الشيعي «بعيد» سقوط صدام ..... ١٧٣
- هدية الى الذين يتباكون على السيد صدام حسين .. ١٩٣





# نظرة على السيستانية

بقلم: إبراهيم العبادي

منذ تبلور المرجعية الدينية الشيعية بالنموذج الذي عرفه السياق الاجتماعي-الديني الشيعي، تمايزت مدرستان في السلوك العام لهذه المرجعيات خاصة فيما يتعلق بالشؤون السياسية وقضايا الحكم والسلطة نظريا وعمليا، المدرسة الاولى، هي المدرسة التي تصنف بانها تقليدية، حيث المرجع مرجع في الفتيا وبيان ونشر وتبليغ الاحكام الشرعية الدينية مع انصراف كامل الى الدرس الحوزوي وحضور نادر او قليل في المجال العام، وهو حضور مرتبط بالضروريات القصوى او الجوائح والملفات التي تمر بعالم المسلمين، وقد درجت المرجعيات الشيعية على ذلك ردحا من الزمن وآثرت الحركة في نطاق ما تفرضه زعامتها الدينية والروحية ومقتضياتها .

في قبال تلك المدرسة، ظهرت مدرسة اخرى هي المدرسة الحركية او الثورية، التي سلكت مسلكا

مغايرا للاولى في انفتاحها التفصيلي على قضايا الشان العام وممارستها لدور القائد والمدير لشؤون الولاية العامة وفيها يظهر حضور المرجع اوسع من قضايا الافتاء والتبليغ الديني ورعاية شؤون الاتباع، بل ان متبنيات هذه المدرسة لدور المرجع الفقيه تلتزمها التدخل في قضايا تفصيلية كلية وجزئية تبتدأ بشأن السياسة والحكم ولا تنتهي بالترشيد والتوجيه والرعاية بل المشاركة التفصيلية والالتحام باليومي والمعاش من حياة الناس حتى لو ادى ذلك الى خوض المواجهات والاشتباك في معارك سياسية وثقافية وفكرية وتقديم التضحيات المباشرة .

تمايز المدرستين في القرن الهجري الاخير كان سببا لسجلات فكرية وتنظيرات وجدل ديني وسياسي عام امتد لتناول دور المرجع ومساحة حضوره في الشأن العام ومسؤولية مؤسسة المرجعية وامتداداتها. فصارت الادبيات المعاصرة تتحدث عن مرجعية موضوعية او مرجعية ناطقة في قبال مرجعية صامتة

في تصنيف اخر .

كان لكل مدرسة من هذه المدارس رؤيتها لدور الدين في حياة المجتمع وعلاقته بالدولة والمؤسسات السياسية، ولكل منها رؤيتها ومتبنياتها ورصيدها الاجتماعي ومؤيداتها ومصاديقها التاريخية،

كانت النجف الاشرف العاصمة الدينية للشيعه في العالم تشهد هذه التطورات ببطأ وتستجيب بتثاقل لهذه التحديات حتى بزغ نموذج ثالث بين المدرستين او ما يؤمل له ان يكون مدرسة ثالثة تتمايز عن اتجاهات المدرستين السابقتين وهو منهج ومدرسة السيد السيستاني .

كانت احداث العراق وعواصفه السياسية ومتغيراته الحادة هي ميدان تبلور هذا النموذج الذي عبرت عنه مرجعية السيد السيستاني الذي نم عن استيعاب عميق للتاريخ الاسلامي والشيعي على وجه الخصوص ورؤية محددة لعلاقة الدين بالدولة ودور الفقيه المرجع ومساحة ولايته وحضوره في

الاجتماع السياسي، وللحق فقد عبرت مرجعية السيد علي السيستاني ورؤيتها ومواكبتها للاحداث عن دور بالغ الاثر في الحياة السياسية للعراق، فهي صانعة للحدث احيانا ومستجيبة له في احيان، مازجة بين الحكمة العملية والحزم في المواقف والواقعية السياسية والعقلانية في اوضح صورها، بما يشي بفهم عميق للمشكلات وقراءة متبصرة لمآلاتها وقدرة كبيرة على التوقع والاستعداد للاحتتمالات .

المنهج الوسطي الذي عبرت عنه المرجعية السيستانية، اقترب كثيرا من تجاوز الاشكالية المزمنة التي عاشها الاجتماع السياسي الشيعي والناجحة بدورها من التباس الوعي وتشابك الاتجاهات فيما ينبغي وما لاينبغي للفقهاء المرجع في علاقته بالدولة بل في اشكالية العلاقة بين المؤسسة الدينية وبين الدولة بشكل عام، فبينما يجادل طرف شيعي بضرورة التصدي الكامل للمرجعية للشأن السياسي بما يمكن الفقيه من اعمال ولايته وقيموميته واشرافه، في دمج

مباشر للمجالين الديني والدينيوي، يتحفظ طرف ثان على هذا الدمج ويحذر من صيرورة المرجعية الدينية بديلا عن الدولة وسلطاتها الدستورية وديويتها بما يفقد الزعامة الدينية موقعها الروحي والاخلاقي المؤثر المهاب، ويصادر المجال السياسي برمته لصالح المجال الديني، اذ هناك انفصال واتصال بين الاثنين، ولكن لا يجوز دمجها لتمايز المجالين .

كرست المرجعية السيستانية نموذجا بالغ الثراء في لحظة حرجة من تاريخ العراق وعموم المسلمين الشيعة واثبت هذا النموذج نجاعته وتأثيره وجدواه العملية والنظرية بما اهله ليكون مدرسة بذاتها لها متبنياتها ومركزاتها وستغدو تحديا لمن يخلفها .



(١)

## وإلى متى هذا الضياع ابا محمد رضا ؟

بسبب :-

- ١ . السياسة المفعمة بالغرور .
- ٢ . والتفكير المثالي الطوباوي .
- ٣ . والارتكان الى ثقافة مهذوية مرتبكة .
- ٤ . وتسُلطُ الصبيان على مقاليد الامر الشيعي .
- ٥ . والانتهازية السياسية على حساب المصلحة الدينية والاجتماعية وحتى المذهبية .
- ٦ . والافتتان عن جهل أو قصد بمبدأ ولاية الفقيه .
- ٧ . وتغليب الولاء المرجعي على الولاء الوطني .
- ٨ . والانفعال برواسب التاريخ المشبّع بالدم

والشعور بالإثم والخطيئة.

٩ . ولإغراقنا حتى اللعنة بسياسة جلد الذات.

١٠ . ولأزدواجية نابتة في ضمائرنا نخدع بها انفسنا

وغيرنا.

١١ . ولانشغالنا بتاريخ مات ومضى ولن يعود.

١٢ . ولقتلنا الزمن بلا رحمة ولا فكر ولا تبصر.

١٣ . ولانهمامنا بالصغيرة وتركنا الكبيرة.

١٤ . ولانغماسنا بالقشور دون الجوهر واللب.

١٥ . ولأننا نقبل بالحلول الجاهزة .

١٦ . ولأننا نستمرىء التبرير والتوكل .

١٧ . ولأننا ضحية المظاهر والتوافه والهوامش.

١٨ . ولتعلقنا بالإطار دون الصورة.

١٩ . ولاستهلاكنا بالكلام وليس الفعل .

٢٠ . ولأن المنبر تحوّل الى دعاية هابطة.



- ٢١ . ولأننا نفتش دائما عن قبور جماعية .
- ٢٢ . ولأننا نعشق الموت المجاني .
- ٢٣ . ولأننا نرقص على جروحنا فرحين من الألم .
- ٢٤ . ولأنَّ النجف تم خطفها أو كاد ذلك .
- ٢٥ . ولأنَّ الحسين صار عنوان الارتزاق  
والاستعلاء والتسوّل .
- ٢٦ . ولأنَّ الكاظم صار إيقونة وليس رمزا .
- ٢٧ . ولأنَّ علياً الكبير ضاع بين لهو الجن ولعنة  
السحرة .
- ٢٨ . ولأنَّ الشهادة استغلت واستثمرت لاستئصالنا  
وقتلنا بالمئات .
- ٢٩ . ولأننا نفرح ، ونسكر ، ونتشي ، ونغني  
، ونرقص استجابة لنداءٍ، يستظهر رحمةً، ويستبطن  
عذابا .
- ٣٠ . ولأنَّ الكون في فكرنا كله حزن، كله مأساة .

٣١ . ولأن التاريخ في فكرنا قدر .

٣٢ . ولأنَّ العمر في الاربعين يكون قد ودَّع الحياة .

٣٣ . ولأنَّ الغنى شر .

٣٤ . ولأنَّ الفقر خير .

٣٥ . ولأنَّنا نرفع شعار الوحدة الإسلامية،  
ونتهامس سرّاً بنفاقها ودجلها وتفاهتها .

٣٦ . ولأنَّنا نتواصى بتسقيط رموزنا .

٣٧ . ولأنَّنا نحتمي بالمنطقة الخضراء، وعلى الموائد  
خير الزاد، ورائحة المسك والعنبر، وترانيم فكر  
(خط البط وبط الخط)، فيما شبابنا تزفّهم قوافل  
الموت الزوّام بلا حساب .

٣٨ . ولأنَّ دموع عبد الزهرة، وعبود، وشناوة  
، وكاظمية، وشمهودة لا تهز ضمير الأيدي التي  
تتوضأ، ولأنهم يدفعون بريع أولادنا الى القتال  
، وأولادهم يترنّمون دعاء كميل الكسول في لندن

وكندا والسويد والدانمارك .

٣٩ . ولأنَّ فلسطين يجب ان تعود لأهلها، بدمائنا وأرواحنا وعرضنا مرغمين، ولا تكريم حتى بلغة النفاق، ولا خبز عيش مشترك حتى لو ضاقت بنا كل الدنيا، ولا عزة تذكير وشكر، بل كَمَّن يتلقى الرماية ممن علَّمه الرماية.

٤٠ . ولأنَّ تحرير الاندلس من الاحتلال الاوروبي البغيض يجب أن يكون مهمتنا حتى لو أن علينا يُعلن في ما بعد على المنابر .

٤١ . ولأنَّ العمامة أشرف وأهم وأقدس من دماغ عالم الذرة، ومنقذي الجسوم والارواح من الموت والجوع والقهر والوجع والدموع .

٤٢ . ولأنَّ الاميين والجهلة والمنتفعين هم الحراس على تراث الحسين وحب الحسين، فيما اهل الوعي والتجربة والمحبون كفرقة أوغاد .

هل تريد من مزيد ياسيدي؟

أعتقد انه كاف...

ولكن ما هي النتيجة يا ترى؟

- ظاهرة اليتيم الشيعي...
- وظاهرة التعوُّق الشيعي...
- وظاهرة الترمُّل الشيعي...
- وظاهرة الفقر الشيعي...
- وظاهرة التسوُّل الشيعي...
- وظاهرة التشرّد الشيعي...

هل من مزيد ياسيدنا العزيز؟

شيعة العالم اليوم يعانون من حصار عالمي،  
حصار جغرافي واقتصادي واجتماعي وسياسي، وقد  
أعلن أوباما مرّة في خطابه أن الشيعة ليسوا اهل  
حكم وإدارة وفن وعلم، فهل هي القوس الاخير في  
حلقة الحصار العالمي للشيعة في العالم، كل العالم، في  
إيران والعراق وسوريا ولبنان والسعودية والإمارات  
واليمن والقارة الهندية؟

النجف يا ابن المصطفى تستصر خكم، يريدون لها  
ان تتحول الى بوار، وروحانية بغداد بكازمها الغيظ  
وحنيفها الفقه يريدون لها ان تتهدم الى الابد .

سيدي الكريم...

قطرة شهيد في مجزرة سبايكر وديالى أشرف والـف  
مرّة أشرف من كل حجارات مشهد العقيلة زينب،  
فمالنا صرنا نقدر الحجر ونهجر العقل، مالنا نؤمن  
بأن بناء الانسان اهم وأخير وأقدس من بناء الله،  
سيدي اطفال سبايكر يصرخون في وجه المتحصنين في  
المنطقة الخضراء، أرامل ديالى، نساء ديالى المغتصابات  
حاسرات الراس، ناشرات الشعور، هائمات على  
الوجوه، دموعهنّ الحائرة تلعن المنطقة الخضراء  
والسمراء والسوداء والحمراء...

شيعة العالم اليوم سيدي ضحايا، ضحايا (وهم)  
يقولون عنه أم قرى الإسلام الجديدة، ضحايا الحجر  
الميت، ضحايا الجهل والفقر والمثالية والسعي لإثبات  
انتماء هم شهداء على نظافته وروعته، فيا غريب

الدهور والفكر والتاريخ..

سيدي الكريم...

إلى أين نحن ذاهبون؟

من قال يجب ان نكون شهداء رغماً عنا، ومن  
قال يجب ان نكون حطب حرب مفروضة علينا،  
ومن قال يجب ان نخلص لتراب واحد، وفقية واحد،  
وعاصمة واحدة؟

من قال يجب ان نعادي العالم كله، ومن قال  
إننا مسؤولون عن تحرير كل بقاع الدنيا، ومن قال  
إننا وحدنا مسلمون، ومن قال ان الجنة من نصيبنا  
وحسب؟

والضمير من وراء القصد.

(٢)

## أوضاعنا مزرية هل هناك شك؟

لا نحتاج إلى ما يُعرّف بـ (قاعدة بيانات) لنحكم بان وضع شيعة العراق يكاد أن يكون مزريا ، قد يقول بعضهم إن ذلك ليس بدعاً أو ظاهرة يختص بها شيعة العراق وحدهم بل كذلك كل منتمي المذاهب والطوائف والقوميات تعاني من ذات المشكلة ، أو قل من ذات الفاجعة ، حيث الفقر واليتم والتشريد وانعدام الخدمات وانتشار الامية الثقافية والابجدية ، وهو كلام يتجاهل الواقع المرير بكل صراحة ، فليس من شك إن الواقع في كردستان العراق غيره في وسط وجنوب العراق ، حتى المنطقة الغربية فيما أردنا أن نضع النقاط على الحروف ، سواء من حيث العمران

أو توفير الخدمات ، أو الاستقرار ، رغم فارقة كبيرة ، موجعة ، إن شيعة العراق كانوا المتصددين الاوائل للاحتلال الامريكي ، وكانوا قطب الرحى في تخليص العراق وإيران والمملكة العربية السعودية والاردن وسوريا من شرّ داعش ، الذي كاد ان يتلع العالم الاسلامي إنطلاقا من مشروعه ( الدولة الاسلامية ) ، وكما كان لسان مقاله وحاله يقول أن البداية تكون من العراق وسوريا الشام ، وبالفعل فإن البداية كانت من العراق الجريح .

وفي الحقيقة هذه المفارقة لم تكن جديدة ، فهم الذين تبنا مقاومة نظام الديكتاتور الارعن صدام حسين ، وكانوا حطب حرب الخليج الاولى ، وحطب حرب الخليج الثانية ، وكلنا على إحاطة بما كان يردّه بعض السياسيين فيما يخص حرب الشمال ( كاكما بمحيسن ) ، حينما كان بعض اصحاب العقل والحكمة ينصحون بحل الخلاف بين الجبل والسهل بالحوار ، وليس بالدم والموت ، فكان جواب هذا



البعض (كاكا بمحيسن) أي كردي بشيعي ، وشيعي بكردي ، وهي السياسة التي استنكرها العقلاء من علماء الطائفة السنية ، واعتبروها بداية حرب طائفية مستقبلية !

وقد سجّل التاريخ ظاهرة (القبور الجماعية) واقعا مأساويا في الزمن العراقي المُعاش في زمننا ، حيث أُكتشفت مئات بل آلاف الجثث المدفونة تحت الارض هنا وهناك من أرض الوطن الحبيب ، وفي مناطق شيعية أكثرية أو أقلية، وأحدث الاكتشاف ضجة عالمية ، كان له أن يتحول إلى وثيقة إدانة عالمية بحق البعث ، حتى على المستوى الفكري وإن كان هناك ثمة إشكال في مثل هذا الاستنتاج ، ومهما تكن المفارقة فإن قضية (المقابر الجماعية) شاهد حيٌّ على ما عاناه شيعة العراق ، وفيما نظرنا الى العمق من دلالتها فإنها تشير إلى مخطّط همجي يرمي إلى إخماء هؤلاء الشيعة من الوجود ، فلا غرو أن يصاحب الارهاب البعثي / الصدامي الوحشي لشيعة العراق

هجرةً تكاد تكون مليونية لشيعه العراق من وطنهم  
الأم الى شتى بقاع العالم ، بما في ذلك السودان .

ولكن لماذا نذهب بعيدا ، وإن التاريخ سجّل  
وبأحرف من نور إن الشيعة كانوا اوائل الذين  
رفضوا الاحتلال ، ودخل في معركة دامية ضد قوات  
الاحتلال خاصة في الناصرية وبغداد ، إضطر على  
أثرها المحتلون الى استخدام شتى الاسلحة الفتاكة  
فذهب ضحيتها مئات بل آلاف من شباب هذه  
الطائفة الطيبة المعطاءة .

والحقيقة أن ما لقيه شيعة العراق من ظلم  
واضطهاد وتعسف وتشريد في ظل حكم الطاغية  
الصغير صدام حسين ليس جديدا ، وإنما الجديد  
هو شدة هذا الظلم وتصاعد وتيرته بدرجة مذهلة  
، مذابح ومجازر وتشريد وتهجير وتجويع وتجهيل  
وتحقير وإذلال ، لقد كان العراق بالنسبة لشيعه  
العراق في ظل حكم صدام حسين سجنا مرعبا ،  
وكان لصدام خطته الجهنمية المدروسة بهذا الاتجاه ،

من جهة أخرى ، فإن شيعة العراق كانوا ضحايا الحيف منذ تاسيس الدولة العراقية ( ١٩٢١ ) .

والحقيقة إن العراق يجسّد المصير الشيعي العالمي ، لا شيعة في العالم فيما شيعة العراق ضعفاء ، مستهدفون ، ملاحقون ، مهجّرون ، ارض جذبة ، وأجواء موبوءة ، واخلاق متردية ، وعمران بدائي ، وانغماس بسحر الوظيفة المدنية ، وثقافة طقسية ضحلة .

ولذلك ليس غريبا فيما قلنا « ربما » استهداف شيعة العراق المرکز بعد التغيير إنما المستهدف به شيعة العالم كلهم ، فإن اصابة القلب تشل كل الجسد ، بما في ذلك الدماغ .

هل انتهى كلُّ شيء ؟

لا بطبيعة الحال ..

لنعد إلى سياسة صدام حسين بحق شيعة العراق ، فإنها لم تكن سياسة انتقامية عابرة ، بل كانت

سياسة تقوم على مشروع إخماء الشيعة في العراق ،  
ولم يكن البطش أوّل وآخر ما توّسل به هذا الاهوج  
لهذا الهدف الجهنمي الوحشي ، بل كان ذلك أحد  
مفردات خطة صدام ....

يمكن أن أجمل مفردات الخطة الصدامية بشكل  
عام وفق التصورات التالية على شكل نقاط .

أولا : التشكيك باصل شريحة كبيرة من شيعة  
العراق ، أولئك الذين يسمون بـ (المعدان / الشرك  
، وإنهم ليسوا عراقيين ، وإنما جلبهم الفاتح العربي  
الاسلامي الكبير موسى بن نصير من الهند .

ثانيا : تغيير الطابع الديموغرافي للمجتمع العراقي  
باي وسيلة ممكنة ، وكان من مفردات هذه المحاولة  
الاجرامية شرعا وقانونا وعرفا :-

١ . التهجير ، حيث تم تهجير الآلاف المؤلّفة من  
شيعة العراق ، بحجة ذوي أصول إيرانية ، رغم أنهم  
عاشوا في العراق لأكثر من ثمانين عاما ، وبعضهم

اكتسب الجنسية العراقية ، ومنهم من شغل مناصب متقدمة في النظام الإداري ، بل بعضهم كان قد شغل مناصب وزارية خطيرة ، وقد يتصور بعضهم أن مثل هذه العملية ليست بالغة الخطورة، او ذات تأثير يُذكر فيما علمنا ان نسبة الشيعة تتجاوز الثلثين !

هذا تفكير بسيط ، وكأن صاحب هذا التفكير لم يعلم إن شخصا واحدا يمكن أن يساهم في تحديد هوية شعب سلبا أو ايجابا ، فكيف بالآلاف المؤلفة ، وصاحب هذا التفكير ينسى أو يتناسى أن تهجير هذا الكم من شيعة الاكراد الفيلية إلى ايران كرها وقسرا ، مع مصادرة اموالهم المنقولة وغير المنقولة ، وتمت عملية التهجير على مراحل ، كانت البداية سنة ١٩٧٠ ، والثانية سنة ١٩٧٧ ، والثالثة سنة ١٩٧٩ ، وكانوا بالآلاف المؤلفة ، وقد يبدو للوهلة الاولى أن عملية التهجير هذا ليست بالخطر الكبير على طبيعة الديموغرافية والهوية ، وهذا تفكير ساذج بسيط ، فكأنه لا يعلم ان تهجير هذه الفئة من شيعة

العراق إنما يقود إلى تقليص مساحة ثقافة فرعية ذات اصالة وتاريخ وتأثير ، تلك هي الثقافة الشيعية ، فإن ثقافة الامم من اسباب بقائها حيوية فاعلة استمرار المجسدين لها ، والمجسدون لها هم البشر المؤمنون بها والمتوارثون لها .

٢ . إفناء الآلاف المؤلفة منهم في حروبه الدموية العبيثة ، فليس سراً إن اكبر عدد من قتلى تلك الحروب كانوا من الشيعة ، سواء في حربه ضد إيران ، او غزوه للكويت ، وقد كان من الحقائق المحسوسة البارزة ، إن آلة الحرب ، أو حطب هذه الحروب من شيعة العراق بنسبة فائقة جدا ، أصلا قل ما شهدت المحافظات غير الشيعية تلك الظاهرة المخيفة التي شهدتها المحافظات الشيعية ، حيث ظاهرة التشيع ، تشيع قتلى هذه الحروب التي اصبحت ظاهرة يومية متكررة في المحافظات الشيعية .

والحقيقة إن هذه الظاهرة كانت أكثر خطورة ومأساوية على الاجتماع الشيعي العراقي من التهجير

، لانها ولدت ظاهرة العائلة الشيعية المنكوبة !  
٣ . اعدام آلاف من شباب الشيعة بحجة الانتفاء  
الى حزب الدعوة الاسلامية ، وكل منتم إلى حزب  
اسلامي ذي هوية شيعية ، والاعدام لا يطال المنتمي  
فقط بل أحيانا حتى اشقائه وشقيقاته ، بل اباه وامه  
، وقد أدى هذا الاجراء الاجرامي الوحشي إلى توسيع  
دائرة الاسرة المهمومة المحزونة اليائسة ، وذلك على  
صعيد المكونّ الشيعي - للاسف مضطر إلى هذا  
الاسلوب في التسمية رغما عني - ولم يكن الاعدام  
يطال عشرة أو عشرين أو خمسين أو الف ، بل الآلاف  
، ومن فئة الشباب ، أكثرهم جامعيون ، او خريجو  
التعليم الجامعي .

ثالثا : اختراق مواقع القوّة لدى الشيعة ، وكان من  
أبرز هذه المواقع هي ( الشورجة ) ضمن دائرة أوسع  
هي التجارة ، فكما هو معلوم إن الشيعة وبسبب  
الخطيئة الكبرى التي تمثلت بأكثر من مأساة اتجهوا  
الى الاشغال الحرّة ، وكانت التجارة من أبرز ما تميز

بها العقل الاقتصادي الشيعي في العراق ، وليس سرًا  
كان للشورجة ، شورجة بغداد دور اجتماعي ضخم  
في ترسيخ الهوية الشيعية ، وتوسيع نطاق تأثيرها ،  
ومعالجة بعض مشاكلها ، وبسبب كل هذه المقتربات  
توجّه صدام حسين الى تصديع هذا المتن المتين من  
الجسد الشيعي العراقي ، فسَهّل للأخر فرص هائلة  
لتصديع هذه الجبهة الشيعية الاقتصادية ، وكان ذلك  
بهدوء ، حيث بدأت المحاولة بمفرده هنا ومفرده  
هناك ، وفي الحقيقة ليس من حق أي أنسان أن يمنع  
غيره من ان يجترح طريقة استجلاب رزقه ورزق  
عياله ، ولكن في بعض الاحيان يكون ذلك ليس  
لغرض المعاش الطيب الحلال ، وإنما لكسر كيان ،  
وبكل صراحة قد يكون السر دينيا ، او مذهبيا ، أو  
قوميا ، فتدخل العملية في سوق المباحكة الدينية او  
الطائفية أو القومية ، وربما قد تتحول إلى بؤر صراع  
معقد ، وقد نجح صدام في ذلك ، ففيها هو يفتح  
الثغرات في هذه الجبهة بوعي سابق ، وتخطيط إرادي  
هادف ، إنما ضمن خطة تؤجج العداة والمنافسة غير



الشريفة بين الطوائف والمذاهب والقوميات .

رابعا : تهيئة كل الاجواء للسلفية الدينية لنشر أفكارها وتصوراتها في إطار من السعي لاقناع الشيعي بالاقلاع عن عقيدته ، وقد مارس دعاة السلفية جهودا مرعبة على هذا الطريق بدعم مباشر وغير مباشر من نظام صدام وفق خطة مدروسة سلفا ، السلفية هي الضد النوعي للتشيع ، وليس بالضرورة الضد النوعي للتسنن ، بل أحيانا قد يلتقيان ، خاصة فيما اقتضت مصلحة طائفية في ذلك ، ولكن لحسن الحظ إن الخط السلفي أظهر عداؤه المحكم للسنة أيضا ، وعمل على تقليص الهوية السنية العراقية ، مما يثبت أن استدعاء هؤلاء السلفيين وإطلاق ايديهم في العمل والنفوذ إنما لغرض سياسي وليس ديني .

خامسا : تطويق بغداد بسياج « سني » بشري محكم ، وقد تمت عمليات تهجير وتوطين مدروسة إنطلاقا من هذا الهدف ، وقد كان لهذه السياسة الصدامية

الاقصائية أسوأ الاثر في العلاقات بين أبناء الشعب العراقي ، وكان لها اسوء العواقب التي بدأت منذ المباشرة بالمحاولة وحتى هذه اللحظة .

سادسا : إخلاء النجف الاشرف من دوره العلمي العالمي المتميز ، وذلك بتهجير العلماء من أصول غير عراقية ، ورغم أن نشاط النجف لم يمت ولكن ضمير كثيرا ، حتى كاديندر لولا رحمة الله تبارك وتعالى .

وهذا الاجراء ذو طبيعة ثقافية تدميرية ، فإن النجف بعلمها وعلمائها واعرافها وثقافتها ، وهي ضمير العراق التاريخي ، وضمير الشيعة الروحي ، فإن مثل هذا الاجراء يشكل قمعا لتاريخ محدد ، مسمى ، معرف باربعة حروف ( تشيع ) ، حيث لم نجد مثل هذا الاجراء لعملاء الجانب الآخر ، حيث كان كثيرا منهم وافد من باكستان والهند بل وحتى من أفغانستان لطلب العلم في مدارس الوقف السني !

إن إخلاء النجف أو محاصرتها أو استغلالها إنما حرق للهوية الشيعية في العراق ، ومن خلال ذلك

هناك قمع جسدي ، وحرمان حقوقي ، وبالتالي ،  
أليس هناك خطة كان صدام يعمل بموجبها للتعامل  
مع شيعة العراق وتشييعهم ؟

سابعاً : إختراق الحوزة العلمية في النجف بعشرات  
بل مئات من محترفي العمل المخبراتي بدقة ومهارة  
وفن واقتدار ، وخلق بؤر تخريبية ، وقد نجح  
الاختراق هذا كثيرا ، وما ظاهرة الصرخي والحسني  
وغيرهما سوى نتيجة أو ثمرة طيبة / خبيثة لهذا  
الاختراق ، والخطورة إنه اختراق عقدي ، مما يربك  
او يشوش على هوية التشيع العراقي ، وما زال خطره  
سائدا ، بل تضاعف كثيرا ، ولذلك اسباب كثيرة  
يمكن أن اعود اليها لاحقا بإذن الله تبارك وتعالى .

ثامناً : تجفيف الاهوار احد معاقل المعاش  
الشيوعي في العراق ، وأحد صياغات الهوية الثقافية  
لشيعة العراق ، بل تدمير قاعدة شعبية ولائية مؤمنة  
، شيوعية الهوى والروح والاتجاه والعادات والتقاليد ،  
حقا كان عمل ردم الاهوار ضربة معلم ، ويخطيء من

يعتقد أن تجفيف الاهوار كان بهدف حرمان مناظلي الكفاح المسلح ومناظلي حركة الاسلام العراقي من استغلال الاحراش والأنفاق المظلمة وتشعبات الطرائق والجداول والانهار ...

لا أبدا ...

كان يهدف إلى محو أحد مفردات الجغرافية الشيعية بشريا وثقافيا وهوية .

تاسعا : ربط حزام بغداد السني بمناطق الغربية

واخترق مناطق الشيعة بجرف الصخر ممتدا الى الجبلية عند الحلة ، وهو بهذا الاجراء يعمد إلى محو الجغرافية الشيعية ، وحقق بعض مرميه بكل وضوح ، إنها إحدى مفردات الخطة الاستراتيجية ، خطة صدام حسين لأقصاء التشيع ، الشيعة ، وتحويلهم إلى اقلية يمكن يُطلق عليهم فيما بعد بـ (الشيعيين) .

عاشرا : التغطية على المساجد والحسينيات الشيعية بمساجد تؤدّن بالأذان على الطريقة السنية ، اي خمس

مرّات باليوم ، وخال من الشهادة الثالثة ، وغياب )  
حيّ على خير العمل ( وبلحن تقليدي موروث .

اكرر للمرّة الرابعة ، لم يكن الهدف تغليب أو  
ترجيح مذهب على مذهب ، بل نحو مذهب ، أو  
تقليص حضوره الثقيل في الاجتماع العراقي ، بل  
وأیضا خلق الفتنة الطائفية ، الحقد المتبادل بين  
السنة والشيعة ، والرابع الاخير ( هو ) لا غيره .

إحدى عشر : والى الآن توجد بعض هذه المساجد  
في بغداد / الكاظمية على وجه الخصوص / كذلك  
كربلاء ، كذلك الهندية ، ففي إبان الحملة الايمانية  
التي طرحها صدام حسين ظهرت المساجد الوهابية  
في كل مدينة شيعية ، ولم نجد مسجدا شيعيا جديدا  
في المناطق ذات الاغلبية السنية ، مما يكشف الدور  
الخبث مثل هذا الموقف الصدامي .

إثنى عشر : تصديع الوجود الشيعي من الداخل  
، وحسب خطة مبرمجة ، هذه بعض معالمها الخطيرة  
حقا وحقيقة: -

١ . التهجير كان من نتائجه تفكيك العائلة الشيعية فيما إذا كان الزوج سنّي والزوجة شيعية ، حيث يضطر الطرفان إلى الطلاق ، وبسبب هذه الحالة تشتت كثير من العوائل الشيعية بين إيران والعراق وسوريا ودول اوربا ...

٢ . وإذا كان الزوج شيعيا والزوجة سنية ذات المصير بسبب التهجير اللعين ، حيث التشتت والتصدّع والانهار .

إن مثل هذه الظاهرة لم يصب شررها العائلة السنية ، لأنهما لم تهجر ، إنما العائلة الشيعية وحسب ، لم يصب هذا البلاء حتى العوائل الكردية ، وإلى الآن تعاني بعض العوائل الشيعية من هذا الاجراء الاجرامي المتوحش .

٣ . شكّل جيلاً من الاطفال ، ابناء الشهداء كما كان يسميهم النظام، شهداء حرب الخليج الاولى والثانية ، واطلق عليهم عنوان (فدائيو صدام) ، ونحن نعلم أن شهداء (!) هذه الحرب كانوا على

الاجلب من الشيعة ، وكان هناك عمل جاد على تطبيع هؤلاء ( الفدائيين ) على تأليه صدام حسين ، وتوجيههم صوب تخليده في اعماقهم منقذا وقائدا ، وملهما ، وهو عمل خبيث من شأنه تمزيق الوحدة الشعورية للعائلة الشيعية ، لان هذه العائلة وبكل صراحة ، ومهما كانت خاضعة لصدام تحمل في داخلها موقفا سليا من هذا الرجل القاتل ، وقد كان من نتائج تجنيد هؤلاء الاطفال والصبيان من الشيعة بهذه الطريقة أن خلقت حاجزا سميكاً ، شعوريا ، روحيا بينهم وبين عوائلهم ، كانت الخطة تعبيد الطفولة الشيعية لصدام حسين ، تهجينها ، وقد نجح وإن بنسبة بسيطة .

كان الضحايا من العوائل الشيعية أما القيادات فكانت من غير الشيعة ، أو من الشيعة الذين دُجّنوا من جهة النظام الى حد العبودية .

٤ . وصدرت تعليمات الى الحزب ، قيادات متقدمة ، وبتخطيط من أجهزة الامن والاستخبارات والمخابرات

، وبأمر سري من صدام حسين للعمل الجاد على كسب  
أولاد شهداء الشيعة ، من ابناء الحركة الاسلامية ، او  
من أبناء المتفضين أو المناوئين لصدام ... كسبهم الى  
الحزب ، وبذل اقصى جهد لغسل ادمغتهم باتجاه فكرة  
جهنمية، مفادها : إن ( الاسلاميين) هم الذين كانوا  
سببا في يتمكم وفقركم !!!

اعرف الكثير من هؤلاء ...

هذه السياسة اللعينة لم تنتج شخصية شيعية بعثية  
عقدية وإنما خلقت شخصية شيعية حاقدة على  
الشيعة بالذات ، وتسببت في تصدع العائلة الشيعية .  
ربما الشواهد قليلة ، ولكن آثارها بعيدة المدى ،  
وقد صادفت بعض هذه الحالات المدمرة .

٥ . حرص صدام حسين وبتخطيط بعيد المدى  
وبتجنيد طواقم متمرسة على تغليب الانتماء الشيعي  
على اي انتماء آخر في أجهزته الامنية والقمعية ، خاصة  
على صعيد الجلادين والمحققين ، كانت اجهزة الامن



والاستخبارات والمخابرات على صعيد العمليات القذرة ، والمهّمات الارهابية ، والعيون المراقبة ، والاعتقالات ... كانوا من (القاع الشيعي) ، وقد كان هؤلاء في منتهى القسوة مع (شيعتهم) ، شيء كان في غاية الغرابة ، وليس من شك إنها ظاهرة تساهم في تصديق (المكون الشيعي) .

٦ . وافادت بعض المصادر إن صدام دفع عملاءه واجهزة اعلامه والعاملين في اجهزته السريّة على تشجيع العوائل في مناطق التواجد الشيعي الاكثري على إطلاق اسمه على مواليدهم ، فتخيّل أن يحتل هذا الاسم ( صدام ) النسبة الغالبة من بين الاسماء المتداولة في هذه الاوساط ، وهو الاسم الذي يحمله قاتلهم ، ومدمّر قراهم ، ومهجّرهم ، ومشرّدهم ...

إنها عملية مدروسة بحنكة ودقة ، وفيما تجدها ظاهرة تميّزت بها أمكنة التواجد الشيعي الاكثري او الاقلي من جهة وتعلم من جهة أخرى ان أكثر الاسماء تداولا واستعمالا في هذه المناطق هي اسماء

الائمة عليهم السلام ، فيكون اسم صدام هو الموازي والمعادل لإسماء هؤلاء الاطهار ، بل الأسم الذي سيتخطى حظوره حظور الاسماء المباركة لدى الشيعة ، إنها استراتيجية التسمية التي دخلت مضمار الصراعات الأديولوجية والدينية .

ثالث عشر - ١ : وكان صدام حسين قد أدرك إن الشعائر الحسينية بمثابة هوية شيعية ، خاصة بالنسبة للعراق ، وإن حركة هذه الشعائر ، وإمضاء فاعليتها ، وترسيخها ، وتوسيع نطاقها إنما يخدم أو يصب في ترسيخ الديموغرافيا الشيعية ، كما أنها تسجل حضوراً عينياً نشطاً لهذا المذهب وحامليه والداعين إليه .

الشعائر الحسينية ليست مجرد بكاء ولطم وحنين وتطبير وما شابه ذلك بل هو هوية مركبة ، جوهرها تشييع على كل حال ، وبصرف النظر عن التفاصيل ، حتى إذا كانت بعض مفرداتها مسيئة ربما للحسين نفسه سلام الله عليه .

ولم يكن هذا ديدن صدام حسين فحسب، بل مورست عمليات المنع، ومحاولات المنع منذ زمن بني أمية وحتى لحظة حكم صدام حسين، ولكن صدام تعامل معها بخلفية لا تمت الى الطغيان، ولا إلى الخوف من إحداث ما لا يُحمد عقباه بالنسبة الى مصيره، ومصير حكمه، بل تعامل معها بمثابة طاقة روحية، تمد حاملها بزاد الاستمرار والديمومة والتخطي، فإن ياسين الهاشمي كان يمنعها بدافع أمني وسياسي، أما صدام فلم يكن يريد منعها بل إقصائها، إماتها من الجذور، لان الخلفية ثقافية ونفسية بالدرجة الاولى .

ثالث عشر - ٢ : وعندما أدرك صدام أن هذه المفردة من استراتيجيته الخاصة باستئصال المكون الشيعي قد تعثرت، أو ربما تخرج بنتائج معاكسة اجترح خيارا آخر، مفاده تجيير هذه الشعائر لصالحه وجودا وتأييدا ودعما ...

فما هي الممارسات التي أقدم عليها في هذا المضمار؟

ألف : كسب بعض روّاد ومحترفي العزاء الحسيني ، بعض المتغلغين في الظاهرة ، العارفين بأسرارها ، حتى أحتل بعضهم مواقع متقدمة في حزب البعث .

باء : الاشراف الرسمي على هذه الشعائر من حيث أقامتها وتجهيزها وإدارتها .

جيم : احداث إنقلاب في بنية الشعار ، الشعار الحسيني ، حيث تحوّل من اسلامي حسيني عزائي حزين الى بعثي قومي صدامي .

دال : إدخال اهداف السياسة الخارجية في خطاب الشعائر .

هاء : تقليص مساحتها الجغرافية والإدائية جهد الإمكان .

رابع عشر : حرص صدام على تصدير الواجهة الحزبية برسم شخصيات شيعية ، أي قام بعملية تمويه ، مفادها أن حزب البعث شيعي القيادة ، فإن القيادة شيعية ، من عوائل شيعية معروفة ، وبالتالي

، ما يمارسه صدام عبر اجهزته الامنية السرية من قتل وذبح وتشريد بحق الشيعة إنما يقع اللوم فيه على هذه القيادات ، القيادات الشيعية ، والطريف إن يكون الجلاد في السجون والمعتقلات شيعيا ، والذي يتحمّل المسؤولية شيعي متقدم في السلطة التنفيذية ، وليس من الصدف أن تكون الاقلام الاعلامية المؤلّه لصدام والمدافعة عنه ، والمبرّرة لجرائمه بحق الشيعة قبل غيرهم إنما شيعة ايضا ، أو معظمهم شيعة ، أو اهمهم وأخطرهم شيعة !!!

هذه اللوحة الشيعية ، حيث القيادات المتقدمة في الحزب شيعة ، ورجال الدولة والحكومة من الطراز الرفيع شيعة ، والاعلاميون المادحون والمبررون شيعة ، وربما قيادات عسكرية شيعة ...

هذه اللوحة تقنع في الوهلة الاولى إن صدام ليس طائفيا ، ولا حاقدا على الشيعة ، بل والكلام عن تخطيط استراتيجي صدامي لإقتلاع المكون مجرد هراء ، ولكن إذا ما علمنا إن صدام لا يحكم بهؤلاء

ولا بأولئك ، وإنما بجهازه السري الخاص ، فلا قيمة لسعدون حمادي ، ولا قيمة لعنان الحمداني ، ولا قيمة لسмир الشخلي ، ولا قيمة لسعد حداد ، إنما الكلمة الفصل إلى صدام وعصابته .

النقطة المهمة هنا أن كثيراً ممن يدافع عن صدام حسين حتى من طرف شيعة طالما يستشهدون بهذه اللوحة ، ليلقوا باللوم على الشيعة ، من حيث أنهم الرموز البارزة في النظام !

والحقيقة إن انسب تسمية لمثل هؤلاء ، هي ( شيعة صدام ) كما كان هناك شيعة معاوية ، وشيعة عثمان ، وشيعة علي بن أبي طالب في نهاية القرن الهجري الاول وبدايات القرن الهجري الثاني .

خامس عشر : ولم يكن تجريف بساتين الدجيل بمثابة أمر احترازي ، ولا عقوبة ، ولا انتقام ، بل عملية تجريف للهوية ، هل يمكن أن ننكر أن هناك علاقة بين الهوية والارض والاستيطان في هذه الارض أو تلك ؟

سادس عشر / بغداد ... بغداد ...

كان صدام يدرك بإن شيعة بغداد يعشقون بغداد ، وربما كان يعلم من أي مصدر كان أن الكرخ كانت شيعة ، وربما سمع من أي جهة أخرى ، إن الشيخ المفييد عندما هجر كان يحن الى بغداد، وإن السيدين الرضي والمرضى يعشقان بغداد ، وإن بغداد تضم جثامين شيعة ذات بعد تاريخي عريق ، وذات حضور عقدي عميق في الذات الشيعية ، وإن بعض جذور الصياغة الفكرية للشيعه إذا لم تكن قد أجتاحت في بغداد فإنها نمت وترعرت وعضد ساعدها في بغداد ...

كل هذا وأكثر وبكل صراحة كان جوهر استراتيجية صدام لإقصاء الوجود أو المكوّن الشيعي ينصب على بغداد ...

فما هي معالم وخفايا الخطة ؟

١ . تطويق بغداد بحزام مذهبي من لون آخر .

٢ . تغييب الكثافة الشيعية ، تجنيس الفلسطينيين

، استجلاب الريف ، الريف الغربي على وجه الخصوص .

٣ . الكراة الشرقية :-

• اختراقها من جهة النهر بتوطين الأجانب ورجال النظام من الاقارب والنافذين من المخابرات والقمعيين .

• تبقيث اكبر عدد من شبابها .

• القصر الجمهوري قلعة عسكرية فائقة التجهيز بماثبة رعب مقابل ، فليس هناك من منطقة عازلة سوى النهر .

• زرع جزيرة أم الخنازير لتكون مرتع شهوات صدام وأزلامه .

• احتكار الجادرية - تقريبا - والحمد لله استلهم هذه السياسة بعض الحشديين !!!!

• إرعاها من جهة نقطة تواصلها مع كراة مريم بثكنة القصر الجمهوري الفائقة التسليح ، المتسعة لسجون سرية مرعبة ، المحتشدة باجهزة التجسس



والانذار المبكر .

٤. طوّقها - بغداد - بكثافة ذات أكثرية مذهبية ( مخالفة ) من جهة الشرق ، مناطق شعبية ، وكأنها تضاهي مدينة الثورة ، وهذه الكتلة الجغرافية البشرية كانها تحاصر أو بالاحرى تتاخم مناطق ذات اغلبية شيعية ، مثل المشتل وبغداد الجديدة ، وتل محمد ، ومنطقة الالف لأحداث توازن سكاني ، خاصة إن طابع الهوية المختلطة بين الريف والمدينة هو القاسم المشترك بين هذه الكتل الجغرافية البشرية في شرق بغداد / اطراف بغداد الشرقية .

٥. شيء مرعب حيث تم الحفاظ على ( أصالة ! ) المناطق السن ( البغدادية ) التقليدية ، فيما عمل على تدجين المناطق الشيعية ( الاصيلية ) ، ولك وإلى الآن ان تقارن بين الكرامة من جهة والاعظمية من جهة أخرى .

٦. بغداد - الكاظمية :

أولا : تجريف بساتين النهر وتحويلها الى ثكنة أمن

واستخبارات ومخابرات وسجون سرّية ومنصات  
إعدام .

ثانيا : مسح جهة الشرق من المدينة المقدسة  
وتقطيعها الى اراض استملاك للضباط بمختلف  
المراتب ، وأكثر هؤلاء الضباط من ذوي المذهبية  
الاخري ، وفيهم من أجهزة الامن والمخابرات وربما  
حتى من الحرس الجمهوري .

ثالثا : مزيد من الرعاية الوقفية لجامع أبي يوسف .

رابعا : تشجيع النزوح شبه الريفي / المدني الى  
المدينة ، فيما لم نجد مثل هذا النزوح في الاعظمية  
وباب الشيخ والجعفر وغيرها من مناطق التوطن  
السني إذا صحّ التعبير .

٧ . بغداد - مدينة الثورة :

سابع عشر : استطاع صدام حسين اختراق  
البيوتات العلمائية الكبيرة بطريقة وأخرى ، وأحدث  
انقساماً عمودياً داخل هذه البيوتات ، وربما الخوف

من القتل هو الذي قاد إلى هذه المفارقة الفريدة في تاريخ بيوتاتنا العلمية ، بيت الصدر والحكيم من الشواهد الحيّة على ما أقول هنا .

لم تستطع أي سلطة تفتت البيوتات العلمية الكبيرة ، سواء كانت سلطات ما يسمى العهد المدني ، او حكومة عبد الكريم قاسم ، أو حكومة العارفين ، نعم ، كانت السلطة قد تفلح بتجنيد عالم كبير في مواجهة علماء كبار ، ولكن أن تفلح بشق العائلة العلمائية الكبيرة بين ( نعم ) و ( لا ) تجاه حاكم أو حكومة معينة فهذا ما لم أطلع عليه ، إلا صدام ، فقد نجح باختراق هذه العوائل ، استمال بعضهم ، خوفا او طمعا ، وقد فرز هذا الواقع حالة مضادة ، وإن على نحو السكوت وليس المعارضة الصريحة ، أو يصدف أن عالما من عائلة علمائية محضرمة يتحرك ضد صدام ، فينبري هذا الاخير لتوظف ، يف أو تسخير الشقيق أو النسيب أو القريب الاسري ضد العالم المتحرّك ، مما يؤدي أو يتسبب في تصديع البيت العلمائي بين اتجاهين متناقضين .

٨: كربلاء ... الحق ناحية « النخيب » بالرمادي فيما كانت أحد نواحي كربلاء، ولم تعد تبعد عن كربلاء أكثر من ٢٠٠ كم، وكانت أهميتها انها مسكن قبيلة عنزة وشمر وبعض قبائل الدليم، ونقطة أهميتها الادارية والجغرافية انها ملتقى ثلاث مفترقات طرق مهمة، الى عرعر ثم المملكة العربية السعودية وذلك من جهة جنوب الغرب، وإلى الاردن من جهة الشمال حيث ما يعرف بالطريق السريع، وإلى كربلاء من جهة الشمال الشرقي، حيث زحف الزواء الى الإمام الحسين عليه السلام، فصدام بهذا العمل انهى احد منابع الحيوية بالنسبة للجغرافية الشيعية في العراق.

٩: كركوك ... منطقة تسعين ... تدمير بشري وعمراني وسياسي ... كانت هذه المنطقة معلما شيعيا في العراق المصغر، منطقة تسعين التركمانية، بحجة وأخرى جاء صدام أفرغها من أهلها الشيعة، قتلنا وسجننا وتهجيرنا.

(٣)

## الألوهية الصدامية تجاه شيعة العراق

صدام حسين ومنذ تنحية احمد حسن البكر ( عام ١٩٨٢ ) ، وتسلمه المطلق لشؤون البلد ، وتصفيته القاسية للخصوم ، وسيطرته الكاملة على أجهزة الامن والمخابرات والاستخبارات ، وتغلغله القيادي شبه التام إلى التنظيم ، وتأسيسه لبؤر إرهابية حاضرة وقت الحاجة ... هنا حيث تجمعت كل هذه المقتربات انبثقت فكرة ( القائد الضرورة ) ، حيث كانت مختمرة في نواياه قبل ذلك ، ومن ثم مشروع (القائد الضرورة) ، ثم فلسفة (القائد الملهم) ، وقبلها أو بعدها أو على التناوب (القائد الاوحد) ، وشرع المتزلفون والخائفون والمحترفون من كتاب الحزب يسردون الفكر الجبري بهذا الاتجاه ، من دون الاشارة إلى اسم صدام حسين ، معللة ذلك

بخطورة الأوضاع التي تمرّ بها البلاد، ويعاني منها العباد، وقبل هذا وذاك إنقاذ الحزب من مصير لا يُحمد عقباه، وخطوة لاحقة خاطفة بدا اسم صدام حسين يُعرض مقترنا بهذه الصفات والسّمات، حتى بلغت ٩٩ اسما وصفة، صُفّت على هيئة اعمدة متوازية أفقيا، حتى كانت هناك لوحة صدام حسين باسماء وصفاته الـ (٩٩).

هنا جاء الدخول في صلب الموضوع ...

من خلال تتبعي لسلوك صدام تجاه الشعب العراقي منذ أن أعلنت ألوهيته وجدته وقد وضع أمام نظريه أن هذا الشعب عبارة عن مكونات شاء أم أبى، ويبدو لي سّمها بعناوينها الصريحة بينه وبين نفسه.

المكوّن الاول : الشيعة .

المكوّن الثاني : السنة .

المكوّن الثالث : الاكراد .

المكوّن الرابع : التركمان .

المكوّن الخامس : الاقليات ( مسيح ، مندائيين ،

أيزيديين ، كاكائيين ).

فما هو الموقف ؟

ولكن دعني أقدم بعض السّمات التي كانت

تحكم تفكير صدام حسين ...

صدام تتحكّم في تفكيره هذه العوامل :

العامل الأول : هيئته النفسية التّواقة الى الزعامة

والقوة والترهيب .

العامل الثاني : تراكم التربية القروية بمنهجها

البدائي ، وهويتها الجافة .

العامل الثالث : تراكم الشعور بالنقص والمهانة

نتيجة إنتمائه إلى عائلة متهمّة بالارهاب والعمالة

والذل والاستكانة .

العامل الرابع : تقاطيع وجهه التي لا تُسر ، ولا

تبعث على الارتياح ، وكانت تسبب له أزمة داخلية ،

وقد قرأت كتابا مهما للدكتور العبقري ( علي مردان )

عن شخصية صدام ، أثناء إجراء عملية جراحية له ،

فوصفه المرتعب من شكله وهيئته .

العامل الخامس : تراكم تربيته الطلّافية التي

كانت مشبّعة بثقافة السلف الجافّة .  
والآن وفي ضوء كل المقتربات السابقة ، كيف بدأ  
يفكر أو يخطط في خصوص التعامل مع مكوّنات  
الشعب العراقي التي رقّمتها قبل قليل؟  
❖ الشيعة : استئصال ، او التحجيم الديموغرافي على  
مراحل .

❖ السنة : استعبادهم .

❖ الأكراد :الابادة .

❖ التركمان : الالية عند الحاجة .

الاقليات :-

●المسيحيون التبرني والتمكين النسبي .

●المنذائون الاستئصال .

●الكاكائية التبرني من بعد .

●الايديين تقريبا الاهمال .

منهج التعامل العلاجي النهائي مع الشيعة  
والاكراد الارهاب الفعلي ، النابالم ، القتل الجماعي ،  
التهجير ...

منهج التعامل العلاجي مع السنة الترغيب



والترهيب .

منهج التعامل مع التركمان السلام والتغافل ما داموا ساكتين .

منهج التعامل مع الاقليات تدليل المسيحيين وقهر الصابئة وتقديم الخدمات البسيطة للكاكائين وا  
اجترح ص لايزدين. دام حسين مشروع بلطجية  
مستوردة ، فقد سمح بهجرة مئات المرتزقة من ثلاث  
دول عربية (شقيقة ! ) أو شعوب عربية (شقيقة) وهي  
على التوالي :-

الاولى : مصريون .

الثانية : فلسطينيون .

الثالثة : تونسيون

فضلا عن سودانيين وأردنيين ، ولم تكن هذه  
الهجرة التي اجترحها صدام حبا بالعروبة ، وإيماننا  
بالهوية العربية ، فإن صدام لا يأبه لمثل هذه الافكار  
، لا مفهومها ولا مصداقا ، وإنما كانت من أجل خدمة  
نظامه الحرفي ، اي حكومته ، وعلى وجه الخصوص  
الحفاظ على حكمه براسه ، بولديه ، بزوجته ، ولا حتى

من أجل خدمة حزب البعث العربي الاشتراكي ،  
ولأجل ذلك :-

- جنس كثيرا من هؤلاء خاصة من الفلسطينيين .
- وظّف كثيرا من هؤلاء المهاجرين باختيار من  
صدام نفسه في دوائر الدولة .
- وهذا هو الالم ... شكّل منهم أجهزة مخابرات  
وأمن واستخبارات مواز أو مزروع داخل الاجهزة  
الرسمية .

- وأثبتت الوثائق إن صدام شكّل شبه الجيش  
السري قوامه كثير من هؤلاء ، خاصة الفلسطينيين .
- شيّد لهم الدور الفخمة ، والقصور الشاهقة  
، وأسكنهم في المناطق الراقية من بغداد والبصرة  
والناصرية .

وبالفعل لقد أدّت هذه الفلول المرتزقة دورها  
(الرائد) في تحقيق أهداف صدام حسين مجيد ، خاصة  
على ثلاث أصعدة مهمة جدا :-

الصعيد الاول : تغييب خفي للهوية العراقية ،  
والديموغرافية العراقية ، فإن شوارع بغداد والبصرة

والناصرية بدأت تتردد في محافلها واسواقها وشوارعها ومدارسها اللهجات العربية غير العراقية ، إن صدام كان يكره العراق .

الصعيد الثاني : تحجيم الديموغرافية الشيعية ، فقد كان صدام حسين يهدف إلى نحو شيعة العراق وجوديا ، لا بالمعنى المطلق وإنما بالمعنى الذي يفقد فيه الشيعة سمة ( الاغلبية ) عددا ، وسمة الظهور البارز ثقافة وهوية .

الصعيد الثالث : إيجاد المعادل الموضوعي لـ (سنة) العراق بـ ( سنة من مصر وفلسطين والسودان ) ، وربما يستبعد بعضهم مثل هذا الهدف بالنسبة لصدام حيث كان حريصا على إرضاء سنة العراق ، وكان حريصا على جذبهم واستمالتهم ، وهذا وهم كبير سوف أتعرض له لاحقا .

الصعيد الرابع : ذخر لنفسه رصيذاً من الفلسطينيين في مواجهة أي خلاف مع المنظمات والقوى الفلسطينية ، فصدام لم يكن على وئام لا مع ياسر عرفات ، ولا مع نايف حواتمة ، ولا مع خالد

الحسن ، ولا مع ابو داوود ، بل كان الفلسطينيون ينظرون الى صدام بعين الريبة ، خاصة بعد تجربة (أيلول الاسود) ، وكيف ينسى هؤلاء الفلسطينيون ايواء صدام للارهابي الفلسطيني المعروف أبو ( نضال) ، والذي صنفى بعض القيادات الفلسطينية المهمة ؟

وقد ظهر بالدليل القاطع مدى تفاعل هؤلاء الروحي والمصيري مع صدام حسين على حساب العراق عندما سقط صدام حسين ، فإن هؤلاء كانوا من أشد المدافعين عن صدام ، ليس عن العراق بل عن صدام حسين ، عن وليّ النعمة لا عن أرض النعمة ، ومن المفارقات بل هي مفارقة كان من المؤكّد ان تبرز الى الوجود ، ان يدخل هؤلاء في حرب مع المتضررين من صدام ، شيعة أو سنة أو اكراد ، ولم يخوضوا أي معركة حقيقية ضد جيوش الاحتلال ، فيما السيد مقتدى الصدر الشيعي بن الشيعي دخل في معارك طاحنة ضد الامريكان بأمر من السيد كاظم الحائري ، الشيعي بن الشيعي ، المجتهد الاكبر

، فكانت بداية المحنة الشيعية الجديدة ، حيث كانت محتهم مع صدام ، والمحنة الجديدة مصيبة المصائب ، لأنها تفرّعت الى محنة بين الشيعة والشيعة ، بين الشيعة وايران بشكل وآخر ، الشيعة والامريكان ، والحديث يطول .



(٤)

## صدام حسين و( الانتماء ) استبداد أم شمولية

صدام حسين صنيعه أنه ، أنه بالمعنى الحاد ، وشخص بهذه الصيغة المفرطة لا ينتمي إلا إلى لحمه ودمه وعظمه وشحمه ، ولذلك من الخرافة أن نصنّف صدام على العراق أو العرب أو السنة أو الشيعة أو الاكراد ...

لقد اثبتت الوثائق على أن صدام كان على علاقة بالمخابرات الدولية عندما كان في مصر ، ومن الصعب على من يتصل بالمخابرات الاجنبية ، خاصة إذا كانت ذات هوية امبريالية عالمية أن يكون مخلصا لوطنه أو هويته الدينية أو هويته الوطنية أو المذهبية أو عشيرته أو عائلته أو حزبه ...

السلوك العام لـ (صدام حسين مجيد) لا يبرهن

على أنه يعطي أهمية وإن بنسبة متدنية لقضية الانتهاك ،  
سوى الانتهاك إلى الأنا ...  
أبدا ...

صدام حسين بعثي ولكن صدام البعثي هذا هو  
الذي خرّب حزب البعث وزرّقه الدماء المسمومة  
، وهو الذي قتل كبار البعثيين ، وفيهم من أهل  
الفكر والروية ، ومن أبرزهم المفكر الاردني البعثي  
العروبي الشهير ( منيف الرزاز ) ، ومنهم عبد الخالق  
السامرائي الذي كان عقل الحزب ، وهو الذي حجز  
ميشيل عفلق في غرفة خاصة ، يملئ عليه مطالبه  
وحتى أفكاره ، ومات كمدا ، وهو الذي سلّط على  
الحزب الاشقياء والقتلة ، وبالتالي ، كيف يمكن عدّه  
( بعثيا ) ؟

صدام حسين عروبي !  
أبدا ...

صدام حسين العروبي هو الذي مزّق مشروع أو  
فكرة ( الامن القومي العربي ) باحتلاله الكويت ،  
بصرف النظر عن مسببات هذا الاحتلال ، فإن



احتلال بلد عربي لعاصمة عربية تعبير عملي  
عن تمزيق مفهوم الامن القومي العربي ، مفهومها  
ومصادقا .

صدام حسين عاشق فلسطين ...

أكبر كذبة تايخية ...

وهذه الأدلة :-

الدليل الأوّل : مساهمته الفعلية في شق الصف  
الفلسطيني ، بتأسيس منظمة التحرير العربية .

الدليل الثاني : توريطة منظمة التحرير الفلسطينية  
في حرب ضد الجيش الاردني ، ما يعرف بـ ( حرب ) ،  
وكان قد عدّ الفلسطينيين بالدعم المباشر ، وارسل الى  
حدود الاردن جيشاً جرّاراً ، ولكن ترك الفلسطينيين  
لقمة سائغة للجيش الاردني ، بل حتى الاسرائيلي ،  
وفي وقتها اصدرت منظمة التحرير الفلسطينية كراساً  
بعنوان (إنعزاليو بغداد - نعم للحوار لا للحوار )  
عرّت به حكم البعث في موقفه من هذه الحرب ،

حيث كان موقفنا يتسم بالنفاق والكذب ، بل بالخيانة.  
الدليل الثالث : استضاف اعدى أعداء القضية الفلسطينية ، الارهابي ابو نضال الذي قتل قيادات فلسطينية مقاتلة ، وهذه من ابلغ الشواهد على أن صدام حسين لم يكن صاحب هوية عربية فلسطينية صادقة الدليل الرابع : مجرد ان حصل خلاف بينه وبين بعض القادة الفلسطينيين غلق مقراتهم وحرّمهم ، وشرّد بعض قادتهم .الدليل الخامس : صرف الوافدين الفلسطينيين سواء كانوا قد وفدوا برغبتهم أو بتخطيط من صدام ... صرف همومهم وطاقتهم وقدراتهم من القضية الفلسطينية الى خدمة أهدافه الشخصية ، وتحول كثير منهم إلى مرتزقة ، مشدودين إلى ذاتهم و أطماعهم الدنيوية الخالية من كل نكهة وطنية.

الدليل السادس : تتوجه كثير من أصابع الاتهام الى ان صدام كان وراء اغتيال بعض القيادات الفلسطينية في الخارج ، ومنهم القادة الفلسطينيين الثلاث في

الكويت .

صدام حسين عراقي الروح والضمير والهوى !

هي الاخرى كذبة كبيرة .

وهذه الادلة : -

الدليل الاول : لقد تنازل صدام حسين عن حقوق العراق الى إيران في شط العرب ، لقد اعطى نصف شط العرب إلى ايران ، والمشكلة في هذا التنازل ان حالة التآكل على جهة العراق من الشط متسارعة جدا، ومن شأنها أن تحسر من مساحة الوجود المائي للعراق ، كما أنها تقلل من عمق هذه المياه ، الامر الذي يهدد العراق من مكتسبات الملاحه .

الدليل الثاني : إن صدام حسين تسبَّب في افتقار العراق لمئات بل آلاف الكوادر العلمية المتقدمة ، بسبب هجرتها إلى دول العالم ، إمَّا لاسباب طائفية أو عرقية أو دينية أو اقتصادية ، وللعلم كان عدد المهاجرين العراقيين قد بلغ حتى نهاية حكم صدام

حسين ما يقارب اربع ملايين مهاجر !

الدليل الثالث : وكانت آفة تنازلاته على حساب العراق جغرافيةً وتاريخاً واقتصادياً معاهدة صفوان ، حيث تنازل للكويت عن كثير من الاراضي العراقية الحدودية وهي مناطق خطيرة ، لأنها نفطية أولاً ، ولأنها ذات أهوار ثانياً ، ولأنها تحتوي المنفذ العراقي الوحيد على الخليج ، ثم المحيط الهندي !

الدليل الرابع : وماذا نسَمِّي تجريف الاهوار والدجيل والكاظمية سوى تدمير للبد ، وتحويله إلى ارض جرداء ؟

وهنا انقل نص ما قاله صدام حسين في بعض خطاباته المشهورة ، وقد سمعتها بأذني كما سمعت شبيهه (المُصطنع) نوري المالكي :-

(اللي يفكرون بالقضاء على الثورة خليي يلمون ، راح ياخذون أرض بلا شعب) - تقريباً نصّاً -

ولكن استدرك فيما بعد ، لأنه ادرك الخطأ الذي

وقع به فقال :-

(لأن الشعب كله راح يدافع عن الثورة) .

وإذا كان صدام استدرك هذا الخطا المخيف فإن  
الشبيه من دون شبه الاستاذ نوري المالكي لم يستدرك  
على قولته الصدامية الشهيرة ( ما نطيتها).

صدام ليس عراقيا .

صدام سني !

أبدا ، وسوف افرد لذلك فصلا بعنوان ( صدام  
حسين وسنة العراق ) .

صدام حسين ديكتاتوري شمولي ...

ولم يكن كذلك ....

إن الديكتاتور يمتلك رؤية ، كما هو جوزيف  
ستالين ، ديكتاتور روسيا ، كان مؤمنا بديكتاتورية  
الطبقة العاملة ، روسيا الاشتراكية ، ، كذلك  
جاو شيسكو ، ديكتاتور رومانيا الذي اسقطته ثورة

الشعب الروماني بكل اقتدار وبطولة ، حقا كان مؤمنا بالشيوعية ، رغم بعض تصرفاته الشخصية التي لا تمت بصلة إلى سلوك الشخصية الشيوعية الحقيقية ، كذلك هتلر ، ديكتاتور المانيا ، كان يؤمن بعقيدة ، وواصل تمسكه بالنازية حتى الموت ، وهل ننسى الديكتاتور موسلوليني ، كان يؤمن بالفاشية ، الفاشية كانت الدماء التي تسري في عروقه ، بقي مؤمنا بها حتى النهاية ، وهل دكتاتور النمسا ، فرانكو ، إلا الديكتاتور الذي كانت الملكية تسكن محبه ولحمه ودمه ، قاوم حتى الموت من أجل الملكية ؟

صدام حسين لم يكن منسجما مع نفسه ابدا ، لا عقيدة متسقة ، ولا مواقف سياسية متسقة ...

تارة عروبي بعثي علماني ، بل اتهم بكل صراحة الفقه الاسلامي بانه متخلف ، ولكن على حين غرة يتحول إلى اسلامي متشدد ، ويجترح لنا مشروع (الحملة الايمانية) الوهاية !

الاشتراكية كانت الكلمة اللذيذة في حديثه

،انطلاقاً من شعار البعث المعروف ( وحدة ، حرية ، اشتراكية ) وإذابه على حين غرة يثور ثورة هائلة ، على التأميم والقرارات الاشتراكية ليطلق حرية السوق بأقصى فاعليتها ونشاطها ، وكان العدو اللدود للملكية العراقية ، وقد حملها أكثر من مرة مسؤولية تخلف العراق ، ولكن بين عشية وضحاها يمتدح النظام الملكي ، ويدّعي انه قدّم للعراق ما لم تقدمه كل الانظمة التي عقبته .

### صدام حسين عشائري !

كما هي الصفات والنعوت السابقة ، صدام لا يعترف بالعشيرة ، وقبل ذلك لا يؤمن بالعشيرة ، بل حتى الاسرة لم تكن لديه بتلك المنزلة العزيزة ، فصدام عمل بكل جد على تحطيم العشيرة في البداية ، ثم عاد إليها ، أحيا أمرها بعد حربه ضد ايران ، بل أكثر من ذلك ، اصدر أمرا رئاسيا ، يوجب على كل عراقي أن يثبت بدليل انتسابه الى عشيرة ما ، ومن ذلك التاريخ شاعت التسمية العشائرية ، أو

التعريف بالعشيرة ، فيما كان مرسوم جمهوري سابق  
قرّر إلغاء الانتساب إلى المحافظة أو القضاء أو القرية  
( بغدادي ، موصلّي ، ناصري ، بصري ، تكريتي ،  
عزّاوي ، راوي ) ، ثم امتد القرار ليشمل اللقب  
الاسري ( الدباغ ، الخليلي ، الدامرجي ) ، ثم زحف  
القرار ليلغي أو يُبطل الانتماء العشائري ( التميمي  
، الزيدي ، الحجيمي ... ) ، وبذلك يبدو أن صدام  
حسين إنما قرّر كل هذا للأسباب التالية :-

أولا : بهدف إخفاء سيطرة ( التكراتة ) على  
الوظائف والنشاطات الاقتصادية التي زكمت  
رائحتها الأنوف ) .

ثانيا : لكي يضيفي على نفسه الهوية الوطنية، فهو  
يغلب الثقافة الوطنية على الثقافة المحلية ، الثقافة  
العامة على الثقافة الفرعية .

ثالثا : يرمي إلى تغييب أحد مصادر التعريف  
بالمجتمع العراقي ، فإن العشيرة في العراق تمثل  
وحدة عضوية ، ورغم كل ما تسببته العشيرة العراقية



من مآسي ومصائب للعراق والعراقيين ، فإن هناك ما تفتخر به العشيرة العراقية ، من كرم وإيثار وحمية وغيرة ، وصدام يتضاد مع كل قيمة حضارية أخلاقية سامية .

رابعاً : يهدف من وراء ذلك إلى إخفاء ما كانت عليه بعض شرائح عشيرته من أعمال شنيعة ، وعلاقات مشبوهة ، حقا لقد كان صدام يعاني من هذه النقطة السوداء ، والدليل على ذلك ، ان يدعو إلى إنشاء فلم عن ثورة العشرين تُحَرِّف من خلالها الحقائق التي تجسدت بواقع حي لا يقبل التشكيك أو التأويل ، جوهرها أن ثورة العشرين هي ثورة العشائر الشيعية بدرجة فائقة من الحضور ، والآخرين مهما كانوا مشاركين ولكن بسقف متدن من الحضور والفاعلية ، بينما صدام قام بتزييف التاريخ ، لقد حجّم دور العشائر الشيعية لحساب عشائر ذات نكهة مذهبية أخرى ، تماما كما فعل أحد المنتجات الفنية الايرانية وهي تعرض لنا حياة المختار بن عبيد الله

الثقفي ، حيث غيَّب الفلم دور العرب ، وجيّر كل مآثر ثورة المختار لحساب الموالي .

ومهما يكن فإن النقطة الجديرة حقاً بالانتباه ، إن عودة أو إعادة صدام لحضور العشيرة كان ينم عن ضعف ، وتناقض ، بيد أنها كانت عودة سيئة للعشيرة ، لان صدام اجترح شيوخ عشائر حسب رغبته وفرضهم على العشائر ، وقد عُرف عن هؤلاء الشيوخ الضعف والمهانة والاصطناع ، حتى شاع فيما بعد إذا ما أريدي الاستهانة بمنزلة شيخ عشيرة ما ، ينادوه أو يسموه شيخ عشيرة صدامي ، لا من حيث الانتساب إلى صدام ، ولكن من جهة إنه من صناعة صدام ، وليس شيخاً أصيلاً .

(٥)

## صدام حسين و( سنة العراق )

هذه القراءة تعتمد الواقع كشاهد ، الافعال ، افعال ، صدام حسين ، ويستبعد صاحبها البسيط أن يلجأ الى اختراق الخلفية النفسية لصدام حسين في ضوء مدارس علم النفس والاجتماع ، فأنا لست اختصاصا في هذا الحقل بكل صراحة ، ثم قراءة مثل شخصية صدام حسين وموقفه من العراق والشعب العراقي وحزب البعث والعالم العربي والمفاهيم النظرية في ضوء وثائق مسالة لها فرسانها ، لست اختصاصا ، ولا اطيع في كثير من الاحيان المنهجية الاكاديمية في مثل هذه المجالات ، فإن الوثيقة قد تخرج فيما بعد وثيقة اخرى تنقضها ، وعليه ، اهرع إلى افعال صدام ، وهي شواهد محسوسة ، لا يعني هذا ان قراءتي خالية

من نزعة أكاديمية في بعض معاملها وتضاعيفها، هذا الجانب موجود، وربما لا يخلو منه اي جهد حتى الجهد المنحاز، ولكن العمود الفقري فيما احكيه هنا هو الواقع الخارجي، الملموس، المحسوس، بل المعاش حقيقة.

كيف كان ينظر صدام حسين إلى المكوّن السنّي وهو يدير دفة الدولة العراقية؟

أولاً: صدام يتعامل مع سنة العراق باعتبارهم الحاضنة التاريخية له، وان سنة العراق هم ملجأه عند المحنة، ولكن هذا لا يعني انه ينتمي الى السنة عقيدة ومذهباً، صدام بلا قضية أصلاً، وإنما يتعلق الامر أولاً وآخرها بقضية المصير، مصيره هو، ومصير مشروعه الشخصي الاستبدادي.

ثانياً: صدام حسين في تصوري كان ينظر إلى سنة العراق كامتداد للسنة العرب في العالم الاسلامي، وكان يعطي لهذه النقطة أهمية جوهرية فائقة، وربما رتب على ذلك حذره الشديد بالتعامل مع السنة

قمعيا ، فإن للسنة في العراق من يدعمهم ويرعاهم  
ويستضيفهم في المحنة ، من خارج العراق ، وربما  
حتى يدعمهم فيما تطلب الامر الاطاحة بصادم  
حسين .

ثالثا : لكن صدام حسين لم يتعامل مع السنة على  
مستوى واحد من الموقف ، ولذلك نجد احيانا  
بعض الفتور بين صدام حسين وسنة الرمادي ،  
بل وحتى الموصل ، هناك شبه تعاضد مصيري  
بينه وبين سنة تكريت ، سنة اعالي الفرات ولكن  
ايضا بتميز وتفاوت ، وتشير الوقائع الفعلية أن  
سنة الوسط حازوا على مكاسب تفوق أنظارهم في  
المذهب في المنطقة الغربية ، وحتى داخل سنة تكريت  
نجد مثل هذا التفاوت .

رابعا : صدام كان يدرك جيدا وبوعي متناه أن  
السنة هم الخطر الحقيقي الذي يتهدده ، وذلك إذا  
جدد الجدد ، وليس الشيعة ، والاسباب كثيرة ، منها  
على سبيل المثال :-

ألف : السنة أكثرية اسلامية اقليمية أو عالمية ، وهي نقطة جديرة بالاهتمام فيما يخص العراق ، حيث المواطن العراقي يميل إلى مذهبه أكثر ما يميل إلى وطنه ، وهذه احدى مشاكل الهوية العراقية ، وقد اشتدت بعد التغيير .

باء : إن السنة ، سنة العراق أصحاب تجربة عريقة بالحكم ، ولهم ثقلهم الراجح في الجيش والقوات المسلحة الاخرى .

جيم : النقطة المهمة هنا ، ان المعارضة الشيعية شعبية ، فيما المعارضة السنية فيما تمارس دورها ليست شعبية ، كلنا يتذكر ما يسمّى بالانفاضة الرجبية والشعبانية وغيرها ، لقد هبّت كالعاصفة وخذت بسرعة .

دال : إن الشيعة خطر من الخارج ، السنة خطر من الداخل ، لم تشهد المناطق السنية العراقية أي ( انتفاضة شعبية ! ) ضد صدام حسين كما في المناطق الشيعية ، وإنما الخطر الذي كان يتهدد صدام سنيا من قبل

شخصيات كبيرة ، مهمة ، وعوائل سنية معروفة ، والخطر من الداخل اكثر اِمْضاء من الخطر من الخارج .

هاء : الشيعة مرَّكب عاطفي ، خطرهم مؤقت ، سرعان ما يزوي ، اما السنة فمركب حكم وتاريخ سياسي حاكم ، صدام كان يخشى من ضابط سني كبير أكثر مما يخشى من (انتفاضة شعبية شيعية) ، ولا استبعد إن صدام ربما كان يستدرج الشيعة الى مثل هذه (الانتفاضات الشعبية) ليقومهم في الفخ ، ولكن ليس لدي دليل فعلي على ذلك .

كلنا يتذكر انتفاضة الشيعة بعد حرب الخليج الثانية ، لقد سقطت معظم المحافظات الشيعية ، ولكن هل صمدت الى الاخير ؟

لقد انتهت القوة ، الدبابات ، الطائرات ، وكان لها من الآثار السلبية على الشيعة أكثر مما لها من الآثار الايجابية .

واو : إنَّ سنة العراق على علاقة وطيدة بسنة العالم ، هناك تلاق وتفاهم وأواصر ، سنة العراق وسنة الاردن بل وحتى سنة سوريا ، كما أن لهم موقعا لدى المملكة العربية السعودية ، وإلاَّ هل بالامكان إنكار العلاقة الوطيدة بين سنة ( البيجات / السعدون ) والمملكة العربية السعودية ؟

أما شيعة العراق فليس لهم علاقة بمثل هذا المستوى مع شيعة العالم، نعم ، ربما حصل ذلك بعد ان أسقط صدام حسين ، ولكن حالة طارئة ، فرضتها الظروف ، ولا يعني ذلك إنها سوف تستمر بالضرورة ، وصدام كان يقيم وزنا لهذا التخادم السني / السني الاقليمي .

خامسا : إن العلاقة بين صدام وبين سنة العراق تخادمية الى حد ما ، ولكن صدام حسين مجرد ان يلمس خطرا سنيا عليه يخرم هذه القاعدة ، ولا مانع لديه فيما اشدت هذا الخطر أن يعمل على تهيج حرب طائفية تقيه الخطر السني ، ولم يكن صدام



سهل الموقف من اي شخصية سنية قوية ، وكلنا يعلم إنه صفى عبد العزيز البدرى وعبد الغنى شندالة ومحمد فرج وراجي التكريتي ، وغيرهم كثير من الشخصيات السنية المؤثرة ، خاصة في الجيش ، وقد خطط لاختضاع الضباط السنة الكبار الى أزماله من أصدقائه واقاربه وأقرانه ممن لا سابقة عسكرية لهم ، ولا علم في الميدان العسكري ، وممن لا تجربة قتالية لهم .

الذي اراه ان علاقة صدام حسين بالسنة كانت في البداية تخادمية، ولكن استطاع صدام ان يحوّلها بالتدريج إلى علاقة من نوع آخر ...

علاقة طائفة برمز تجد فيه الحامي والمنقذ ، حتى صارت طوع اصبعه ، ليس هناك تخادم، بل هناك اتباع وطاعة ، بطبيعة الحال اتحدث بشكل عام ، وربما عن وعي بالحقيقة من جهة المكوّن السني ، عشائر واسر وافراد ، وبذلك أنهى فاعلية ذاتية ، مستقلة ، أقصد سنة العراق ، وحوّلهم من طائفة

قائدة إلى طائفة طائعة ، من طائفة متحكّمة بمصيرها  
- تقريبا - الى طائفة مرهونة بمصير صدام حسين ، من  
طائفة - تقريبا - متماسكة داخليا الى طائفة متناحرة  
خفية ، والمقياس هو القرب أو البعد عن صدام ،  
خدمته ، الاخلاص له ....

هل من مزيد أعمق وأثرى وأقرب للحقيقة ؟

لقد أعدم صدام حسين مجموعة من الضباط السنة  
، كانوا في منتهى الحرفية بصرف النظر عن التفاصيل  
، بحجة الخيانة أو التهاون إبان غزو الكويت ، حيث  
انسحب الجيش تحت ظروف قاهرة ، ولم يكن هناك  
محيص عن ذلك ، وكان منهم بارق الحاج حنطة ، و  
محمد مظلوم الدليمي ، وغيرهما .

حقا ان صدام حسين أنهى المكوّن السني ...

(٦)

## متى بدأ شيعة العراق المطالبة بحقوقهم؟

استسلم شيعة العراق للأمر الواقع بعد أن استلم سنة العراق زمام الامور بدأ من مجي عبد الرحمن النقيب رئيسا للوزراء ، وكان ذلك بسبب مباشر منهم ، حيث أشرطوا على الانكليز مشروع المجلس التأسيسي يتم اختياره شعبيا ، مهمته مراقبة الحكومة وعلى راسها الملك ، فيما انيطت بهم هذه المهمة ، رفض الانكليز ذلك ، واستجاب السنة بشخصية عبد الرحمن النقيب ، وصادف أن حرّم العلماء التعليم بالمدارس الحكومية، بل حتى العمل بالدولة الظالمة ، أو ضمن هذه الاجواء ذات النكهة التي قالوا أنها شرعية ، الأمور التي مكّنة سنة العراق من الدولة .

هذه الفترة التي يسمونها بفترة الحكم الوطني ،  
اي منذ تاسيس الدولة العراقية وحتى نهاية الحكم  
الملكي بقي الشيعة شبه مهمّشين ، متجهين الى الاعمال  
الحرة ، ولم يكن هناك صراع طائفي على السلطة  
بالمعنى الدقيق للصراع ، فإن الشيعة استسلموا للامر  
الواقع من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، وتوزّعتهم  
الاحزاب السياسية خاصة اليسارية منها ، وتحول  
شيخ العشيرة إلى إله يُعبد من دون الله ، وكان مجرد  
مسمار في ترس الحكومة / الدولة ، اقطاع مسييس  
لصالح النظام السياسي المسيطر عليه ( سنياً ) على  
وجه الاجمال .

كانت هناك مناوشات مذهبية وليس مناوشات  
طائفية ، لم يتحدث علماء شيعة ولا علماء شيعة  
ولا أحزاب شيعة عن ( مظلومية الشيعة ) ، وبقي  
هاجس الاتجاه نحو السوق هو المهيمن على  
الشخصية الشيعية بشكل عام .

لا أنكر أن النزعة تجاه الوظيفة المدنية بدأت

تأخذ أهميتها لدى الشيعة ، وقد تداركوا خطاهم  
اتجاه التعليم المدني ، دخلوا المدارس ، وتخرجوا من  
الجامعات ، وانخرطوا بالعمل السياسي ، ولكن  
بقي الوسط العام سلبي تجاه نفسه ، فلم يدخل في  
معركة من أجل رفع الحيف الطائفي ، ولم يدخلوا  
في قاموسهم ما يمكن تسميته بـ ( حقوق الشيعة ) ،  
فيما ما زالوا مواطنين من الدرجة الثانية بشكل عام  
، ومهما يكن من أمر ، فإن هذا الواقع المر استمر  
حتى ثورة عبد الكريم قاسم ، فما الذي حصل ؟  
كانت هناك قفزة نوعية ...

لقد تحرك عبد الكريم قاسم باتجاه الشيعة ، حاول  
أن يستقطبهم ، وقد اطلق لهم كثيرا من الحقوق ،  
انصفهم بشكل وآخر ، فكان ذلك دافعا غير مباشر  
لشعور الشيعة بقيمتهم وأهميتهم ، لم يعمل المراجع  
على تحسيس الشيعي بقيمته ، ولم يفكر بحقوقه ، ولم  
يدفعه بهذا الاتجاه ، فمجرد أن انحاز عبد الكريم  
قاسم إليهم ، واجترح بعض المشاريع في صالحهم

، حتى بدأت مجسّات الشعور بالذات تتحرك لدى  
الشيوعي ، ساعد على ذلك الموقف السني الرافض  
لعبد الكريم قاسم ،

بدات نغمة هذا شيوعي وذاك سني تتردد مذهيبا  
وطائفيا وحقوقيا وسياسيا.

إذا ما تفحصنا المشهد الشيوعي بعد ثورة عبد الكريم  
قاسم حتى الاطاحة به لوجدنا حسب تصوري  
المقتربات التالية بصرف النظر عن التفاصيل :-

الأول / الوسط العام ، فقراء ، عمال ، فلاحين  
، متوسطي الدخل ، كان اتجاهه قاسميا .

الثاني / الوسط اليساري المتمثل بالحزب الشيوعي  
العراقي باتجاه عبد الكريم قاسم من منطلق  
أديولوجي .

الثالث / البرجوازية الشيعية وقبلها الاقطاعية  
الشيعية عدا مطلق للواقع الجديد.

الرابع / رجال الدين كانوا بالاجمال ضده ،

وقد تصاعد موقفهم تجاه قاسم ذي النزعة العدائية بعد تشريعات الاحوال الشخصية ، وبعد الاطاحة بالمنظومة الاقطاعية .

ولكن اين موقع حزب الدعوة من هذه المقترحات ؟

إن حزب الدعوة كان حزبا أديولوجيا صرفا ، هدفه إقامة الدولة الاسلامية ، ولم يكن قد اعطى أيّ اهتمام للقضية الطائفية ، او القضية المذهبية بنكهتها السياسية ، بل العكس هو الصحيح ، حيث كانت نشرة ( صوت الدعوة ) مهتمّة بالمفاهيم الاسلامية الصرفة ، ومن المسائل المهمة هنا حقا وحقيقة ، كان في عرف الحزب إن مسلما سينيا منتظما في حزب الاخوان المسلمين اكثر وعيا من مؤمن شيعي ملتزم لم يتم إلى تنظيم !

إن حزب الدعوة لم يكن يهتم فيما سيّد عبد الكريم قاسم بيوتا للشيعنة السدّة أم لا ، لأنه صاحب هدف اسمى في تصوره ، الدولة الاسلامية ، بل من المفارقات ان الاخبار تفيد بان عبد الكريم قاسم كان

يسعى لجذب الشيعة من خلال إنصافهم ، وترسيخ حقوقهم ، فيما كانت المرجعية الشيعية ضد عبد الكريم قاسم ، كان عبد الكريم قاسم باتجاهه هذا قد ولّد وعي لدى الشيعي البسيط باتجاه حقوقه ، وهو الأمر الذي لم يعمل عليه مراجع الدين ولا حزب الدعوة ، ولا التجار الشيعة .

الغريب حقا ، إن المرجعية ، كذلك حزب الدعوة كانوا يدركون تماما إن عبد الكريم قاسم رُفض من سنة العراق بشكل عام ، ليس بتهمة إن امه شيعة ، بل لانه بدا يرفع الحيف عن الشيعة ، ولكن رغم ذلك انضمت المرجعية ، وحزب الدعوة إلى هذا الموقف السني العام ، سواء عن سوء فهم أو عن فهم متعمد ،

ومن الشواهد على ذلك إن الشيعة ( العوام ! ) خاصة في مدينة عبد الكريم قاسم ، وشيعة الكاظمية ، منطقة أم النومي ، ومنطقة شارع الكفاح زحفوا زحفا رهيبا للدفاع عن عبد الكريم قاسم وهو



محاصر من زمر البعث ، وقد رأيت بعيني تلك  
الجموع محتشدة على باب الدفاع ، وكانت محشورة  
بالزقاق الفاصل بين الوزارة والجامع ، وكان الحشود  
الجاهيرية الوطنية وهي تهتف ( يا حسين احفظ  
لنا كريم ، ما عدنا غيره زعيم ) ، فيما كانت النجف  
تهلهل وتصفق .

عبد الكريم قاسم هو الذي بعث في سرايين  
الشيوعي المُعدّم شعور الاحساس الاصيل بالذات  
والتاريخ والحقوق .

جاء إنقلاب البعثيين سنة ١٩٦٣ فأين رست  
سفينة شيعة العراق ؟



(٧ - ١)

## شبيعة العراق بين انقلابيين بعثيين

كان الانقلاب البعثي الأول بتاريخ ٨ شباط سنة ١٩٦٣، وقد أتضح معالم النزعة أو النكهة الطائفية في الانقلاب منذ الايام الاولى، حيث تم تصفية الشيوعيين العراقيين على يد الحرس القومي الذي اسسه البعثيون بحجة الدفاع عن الثورة، والملاحظ حقاً أن مقاصل الاعدام حصدت من القيادات الشيوعية العراقية أكثر بكثير من القيادات الشيوعية السنية، وفيما يتشكل المجلس الوطني لقيادة الثورة ليتولى مهام الدولة كان عدد الاعضاء من الشيعة لا يتجاوز ٢٨، بالمائة من مجموع الاعضاء، اي خمس اعضاء، فيما كانت نسبة الشيعة إلى مجموع سكان العراق ما يقارب ٤٥ بالمائة، أما نسبة المشاركة

السنية فقد كانت ما يقارب ٧٧ بالمائة ، اي ١٢ عضوا ، فيما كانت نسبة السنة العرب إلى مجموع سكان العراق ٢٩ بالمائة بل أقل بقليل .

ومهما يكن من أمر فإن حركة دراماتيكية جرت على البنية التنظيمية والسياسية للحزب الحاكم في الايام الاولى من الانقلاب، حيث تمكن العسكر في الحزب من إزاحة القيادة المدنية ، واستلامهم لزام الامور في البلد ، ومن الغرائب أن يكون جميع الضباط البعثيين الذين تقلدوا أو احتلوا المنصب القيادي للحزب من السنة وليس فيهم شيعي واحد ( أحمد حسن البكر، حردان التكريتي ، رشيد مصلح ، صالح مهدي عماش ، طاهر يحيى ، منذر الونداي ، خالد مكي الهاشمي ، أنور عبد القادر الحديثي ) .

وعليه يمكن القول إن نتيجة انقلاب حزب البعث على مستوى الحكم بمعناه الاولي البسيط عبارة عن حكومة بعثية «سنية» ، سنية مذهبية مجازا .

الشيء بالشيء يذكر أن تجنيد الضباط كان في العهد

المكي حصرا من حق السنة وإن على وجه التقريب ، واستمر هذا الحال حتى جاء عبد الكريم قاسم ، فحاول كسر هذا العرف ، جاء البعثيون فاعادوا السيرة الاولى ، وذلك حتى سنة ١٩٦٨ ولكن بشروط عسيرة .

وإذا اردنا ان نعود الى البداية نقول ، ان تسلّم العسكر قيادة الحزب والدولة في حقبة البعث الاولى بدل الخط المدني أنهى كل مكامن القوة الشيعية في قيادة الحزب ، حيث كان لهم بعض الحضور .

والألم ان تقام المجازر البعثية في شيعة العراق بحجة الانتفاء الى الحزب الشيوعي العراقي من جهة ، ومن جهة ثانية كانت مجازر مرعبة قد ارتكبت بحق شيعة مدينة الثورة وشارع الكفاح وام النومي في الكاظمية ، وإذا كان علماء الدين السنة يصفقون فإن علماء الشيعة كانوا يرقصون .



## (٧-٢)

سقط حكم البعث الحزبي الحقيقي على يد عبد السلام عارف بتاريخ ١٨ تشرين سنة ١٩٦٣ ، وكاد قبل ذلك كادت ان تحصل مواجهة دموية بين قيادة البعث العسكرية والمدنية من جهة وعبد السلام عارف من جهة أخرى ، ابدى خلالها البعثيون جينا لا مثيل له ، ومهما يكن من أمر تولى عارف الاول الحكم ، وكان طاقمه العسكري والاستشاري والحكومي عروبياً قومياً وناصرياً و سنيا ، ولبنته الخلفية جميلة ، اي من عشيرته ( الجُميلات ) ، ولم تكن سنّيته طائفية ، اي ليست ذات لون ديني ، بل كان عبد السلام يساوي بين الانتماء السني وإمكانية مسك الحكم ، رغم أن بعض المواقف توحى إنه ذو انتماء مذهبي عن قناعة ، وبلون الهدف في الحياة ، ومن مؤشرات ذلك إجازته لحزب الاخوان المسلمين ، وبعث الروح النشطة في صلاة الجمعة ، وتوسيع

صلاحيات الوقف السني ، ولكن من جهة أخرى قام باوسع حملة تأميم ، وكان من أشد المناصرين بل التابعين بالروح والدم والفكر والمصير لـ ( جمال عبد الناصر ) ، عدو الاخوان المسلمين ، ولم يتخذ أي خطوة جادة وذات ثقل كبير تجاه ذلك .

وعلى مستوى الموقف من الشيعة كانت أولى خطواته توجيه ضربة قاسية إلى القطاع التجاري بتشريع نظام التاميم ، حيث اعتبره الشيعة محاولة مكشوفة لضرب شورجة بغداد ، وفي الاثناء كانت هناك بعض المفارقات التي سوف أتناولها لاحقا .

والآن ماذا كان موقف الشيعة من هذه الحكومة ؟

أولا : نقطة فارقة هنا ، فإنَّ « الخالصية » وهي تكاد تكون أشبه بالفرقة الشيعية في الكاظمية ، وكانت نشطة جدا ، منذ نشأتها في العهد الملكي - ولا مجال هنا للإفاضة بالموضوع - هذه الجماعة الشيعية في الكاظمية ، والتي كانت - تقريبا - متمرسة بالعمل السياسي ، وذات اتجاه شعبي في مواجهة الخط



الشيوعي التقليدي الموروث بعمقه وبساطته ، و كانت قد دخلت بمعركة شرسة مع عبد الكريم قاسم ، خاصة بعد ان اهتمته بعض الاوساط القاسمية بالعمالة والاجرام التاريخي — كما أنها مارست الكلمة الجريئة ضد حزب البعث بعد مجيئه الى السلطة سنة ١٩٦٣ عبر خطب الشيخ الخالصي في صلاة الجمعة في جامع الاستبربادي - عوذ بالله من شرّ ما خلق ومن شرّ ميشيل عفلق / كانت هذه اول خطبة جمعة للشيخ الخالصي رحمه الله بعد مجيء البعث الى الحكم — هذه الجماعة اصطفّت إلى حكومة عبد السلام عارف ، ووجدت تاييدا وسندا ودعما من بعض أهالي الاعظمية ، وكأنهما سارا في مركب واحد ، وإلى حدّ كان هناك تعاون وتآزر باتجاه دعم عبد السلام عارف .

ثانيا : كان حزب الدعوة الاسلامية يتبلور فكريا

وثقافيا ، ولم يكن يهتم بالقضية الشيعية أبدا ، إنما همُّه التثقيف بالاسلام ، تثقيف الناس ، خاصة فيما

يتعلق بالرد على الماركسية ، والاقتصاد الاسلامي وما اشبه ذلك ، ولم ينخرط بما كان يدور على الساحة من حراك طائفي بصورة وأخرى ، ولا ألوم الحزب بذلك لسبب بسيط وعميق في الوقت ذاته ، هو إن سحر الايديولوجية كان متغلغلا في خلايا المخ الدعوتي ، لم يعط أي اهتمام لفواعل الحراك الاجتماعي آنذاك ، وكان الداعية يستغرب عندما يلتقي أخواني في جامعة أو مقهى أو ندوة ، سرعان ما يسفر هذا الاخواني عن طائفته ليس المذهبية بل السياسية !

ثالثا : الموقف المرجعي من « طائفية » عبد السلام عارف كان بروتوكوليا ، دبلوماسيا ، عبر قنوات مباشرة وغير مباشرة ، وجوهر الموقف العتب ، أو النقد الحاد ولكن على مستوى الكلام ، ولم تتحرك المرجعية بشكل فاعل لمواجهة هذه الطائفية ، نعم ، كانت هناك صيحات منبرية ، تندد بالطائفية ، خاصة في مدينة الكاظمية كما أتذكر ، أما ان المرجعية تبنت منهجا مدروسا في هذا المجال فليس هناك ما يدل

على ذلك للاسف الشديد .

كان هناك اعتراض رسمي على موضوع الأحوال الشخصية ، وإجراءات التأميم ، وهذا لا يعبر بالضرورة عن وجود تخطيط مرجعي ، شيعي في معالجة ومواجهة الطائفة السياسية في وقتها.

ملاحظة : (سوف اتعرض الى هذه النقطة بموضوعية أكثر في السطور التالية ، حيث هناك وجهة نظر أخرى )

وهنا اسجل نقطة في غاية الاهمية ...

بين كل هذه المقترحات كان خط محمد الشيرازي يعمل بكل ثقله على تعميق الانتفاء الشيعي الفكري بصرف النظر عن مدى عمق وعبقريته هذه الجهود .



(٨)

## الشبيعة فن: ظل حكومة عبد السلام عارف مفارقات واستنتاجات

المفارقة الأولى: إن الرئيس عبد السلام عارف هو الذي منح السيد الخميني حق اللجوء السياسي إلى العراق، وذلك بتاريخ ٥ ايلول سنة ١٩٦٥، ومن ثم فسح المجال له بممارسة دوره العلمي ثم السياسي الذي كان يحمل غاية الخطورة على شاهنشاه إيران في وقتها.

المفارقة الثانية: إن الوثائق تفيد بان عبد السلام محمد عارف لم يتعرض لمراسيم الشيعة العاشورية، بل ينقل بعضهم أن حكومته قررت منح المواكب الحسينية مساعدة مالية تتراوح بين ١٠٠ إلى مئتين دينار لكل موكب حسيني.

المفارقة الثالثة : تفيد الكثير من الوقائع الحسيّة إن عبد السلام عارف حاول التقرب إلى القيادة المرجعية الشيعية ، بل هناك أكثر من لقاء بين السيد الحكيم من جهة وبين أرفع مستويات المسؤولية في حكومة عبد السلام عارف بما في ذلك رئيس الوزراء في حينها طاهر يحيى ووزير العمل عبد الكريم هاني .

المفارقة الرابعة : إن عبد السلام عارف قام ايضاً بترميم او ادخال تحسينات جيدة على مرقد ابي الفضل العباس بن علي عليه السلام .

المفارقة الخامسة : وللحقيقة والتاريخ لم نسمع على لسان عبد السلام عارف أو نقرأ في خطاب له أو كلمة أي تعريض طائفي أو عنصري بشيعة العراق ، كما كنا قد قرأنا مثل هذا التعريض في صحف صدام حسين ، بل وحتى على لسانه مباشرة وإن بشكل مبطن ، وكلنا يتذكر خطابات وكتابات المسموم خير الله طلفاح في حقنا وحق تاريخنا من أكاذيب واتهامات وتزوير وتحريف ، وما سطرته لنا

بعض كتب المذكرات من أن عبد السلام عارف كان يُطلق على الشيعة مصطلح (الروافض) فليس عليه هناك دليل قوي سوى إدعاء هؤلاء ، وقد سَطَّروا مذكراتهم بعد سنوات من رحيل عبد السلام عارف ، خاصة وإن هذه المفردة لم تكن شائعة في السوق السياسي آنذاك .

تعليقا على هذه النقاط يمكنني أن أقول :-

إن طائفية عبد السلام عارف - كانت ذات لون سياسي وليس دينيا ، سبق وأن نوّهت عن ذلك ، وأما منحه حق اللجوء السياسي للإمام الخميني رحمه الله فقد كان عبد السلام يرمي من وراء ذلك الى أكثر من هدف :-  
ألف : إدخاره ممكنا احتياطيا في معالجة سياسته تجاه مواقف ايران التي حرصت على تغيير الوضع في العراق بعد مجيء البعث إلى العراق ، حيث وصل الامر إلى تدبير إنقلاب عسكري في هذا المجال .

باء : احداث تخلخل في داخل المؤسسة الدينية

الشيعة ، وهذا ما حصل فعلا ، حيث كان الخلاف قد تأجج سراً واحيانا علنا بين مرجعية الإمام الحكيم من جهة ونشاط السيد الخميني منذ بداية نزوحه إلى العراق / النجف .

وليس من مصلحة عبد السلام عارف حتى إذا كان توجه طائفي مذهبي التعرض للعزاء الحسيني ، الاربعين ، لما يتسبب له من مشاكل هو في غنى عنها ، خاصة وهو المتهم بالطائفية ( المذهبية ) ، بل بهذا الاسلوب ربما يكسب العاطفة الشيعية التي أثبتت استسلامها لأي حاكم مجرد أن ( يتعاطف صدقا أو كذبا مع الاربعينية ، مجرد ان يسمح لها بالتعبير عن مشاعرها باي صورة كانت بما في ذلك التطبير اوالتطين ... ) .

اما الاهتمام بقبة الامام العباس فإن عبد السلام عارف اعطى مثل هذه الاهمية وأكبر الى المراقدة السننية المعروفة .

كما قلت أن طائفية عبد السلام عارف كانت



سياسية ولم تكن مذهبية ، ومن هنا ارى إن موقف  
النجف من عبد السلام عارف كان الواجب أن يكون  
عبر التواصل وليس المقاطعة ، بصرف النظر تفاصيل  
هذا التواصل ، إذ تتحدد طبيعته حسب الظروف .

كان على النجف معالجة هذه الطائفية ليس  
بالمقاطعة ، بل بالمواصلة المدروسة ، مع العلم إن  
المقاطعة في بعض الاحيان كانت تتخذ طابع التهجم  
الخفي ، او العداء المبطن .

إن الطائفية السياسية يمكن ترويضها ، بل يمكن  
تحييدها ، وليس بالضرورة فيما كان الموقف المقاطعة  
والمنابذة تؤدي إلى نتائج إيجابية .

إن رأياً آخر هنا يبرز في خصوص العلاقة بين  
عبد السلام عارف والنجف الاشرف ، مفاده المعادلة  
التالية :-

[ إن الموقف الرافض من جهة السيد محسن  
الحكيم من حكومة عبد السلام عارف كانت تنظّمه

جملة اسباب ، منها : منحہ السيد الخميني حق اللجوء السياسي ، وهناك كلام كثير حول عدم ارتياح الحكيم من هذه المبادرة، ومنها : الاستمرار في إمضاء ما شرّعه عبد الكريم قاسم في خصوص الاحوال الشخصية - وقد تراجع بعض الشيء فيما بعد - ومنها : سياسة التأميم ، التي كان المقصود منها كما يقول البعض ضرب القطاع التجاري الخاص الذي كان بيد الشيعة تقريبا ] .

ومهما يكن من أمر ، فإن الثابت بعد كل هذا الّسرْد أن النجف لم تكن ناجحة بالتعامل مع حكم عارف الاول ، لم تملك خطة مبرمجة ، خطة احترافية ، خطة مواجهة أو معالجة ، تصب في النتيجة النهائية لصالح العراق ، وفي الضمن من ذلك مصالح الشيعة ، والاعتراض على بعض بنود الأحوال الشخصية ، وبعض قرارات التأميم اعتراض عاد ، ولم يعبر عن موقف جذري في التعامل مع الطائفية السياسية العارفية الاولى .

والواقع كان بإمكان شيعة العراق أن يلعبوا دورا مفصليا في ظل حكومة عبد السلام عارف ، فقد كان هناك إحساس شيوعي قوي بالذات ، فقد احتلت المعادلة المذهبية والدينية موقعها المتميز في الاجتماع العراقي آنذاك ، وكان هناك التفاف رمزي نشط حول المرجعية الدينية متمثلة بالسيد محسن الحكيم ، وقد شهد المنبر الحسيني قفزة نوعية من حيث العمق والامتداد والحضور ، وكان هناك موجة تدين هائلة قد انتشرت بين صفوف الشباب الشيعي ، فضلا عن وجود هامش لا بأس به من حرية إبداء الرأي ، وقد تمايل الحكم اتجاه النزعة المدنية وإن بخجل ، رغم هويته العسكرية الخفية والمتصارعة من نزعة مدنية بدأت تتغلغل حتى إلى عقول بعض العسكريين ، خاصة الفريق طاهر يحيى الذي تولى رئاسة الوزارة ، أكثر من مرّة كما سيأتي ، وأكثر من ذلك كان طاهر يحيى شخصية معتدلة ، مدركة لحقيقة الاجتماع العراقي من جهة كونه اجتماعا مركبا من قوميات ومذاهب واعراق .

لقد اکتفت مرجعية السيد الحكيم بحدود الموقف الاعلامي الرافض ، والقطيعة الباردة ، حقا أن من مشاكل المرجعية الدينية الشيعية العراقية منهجها السكوني أو الانطوائي أو الهروبي أو النأي عن النفس أو النكوص بعد بداية ربما جيدة ، ولكنها تتكس أو تتراجع أمام أي صعوبة تواجهها حتى لو كانت صعوبة هيّنة .

(٩)

## فرصة أخرى يضيّعها الشيعة

مات عبد السلام عارف بحادث الطائرة المعروف وهو في رحلة جوية الى البصرة وذلك بتاريخ (١٣ نيسان / ١٩٦٦)، في ظروف ما زالت غامضة، وعمّ الوسط الشعبي الشيعي نوع من الارتياح او ربما البهجة، وكانت هناك ثيمة شاعت على الالسنه ( صعد لحم نزل فحم)، والمقصود هو الرئيس عبد السلام محمد عارف، وهي نزعة تكشف عن ثقافة سطحية، تأرية، كما أنها تكشف عن ثقافة العاجز وليس ثقافة المتمكن من فهم التاريخ، فهم شعبي، تأري، ومثل هذه النزعة طالما نجدها لدى بعض الشيعة في مثل هذه الحالات .

جاء بعد عبد السلام محمد عارف عقب مخرجات

في غاية التناقضات شقيقه عبد الرحمن عارف ، ولم يكن يُعهد عن هذا الرجل طموح سياسي كبير ، ولكن ظروف المرحلة ، وتعقيدات الموقف هي التي استدعت تسلّمه منصب رئاسة الجمهورية العراقية ، وأول مفارقة في ذلك هي مفارقة ( التوريث ) ، وربما هي المفارقة الاولى في هذا المضمار منذ تاسيس الدولة العراقية سنة ١٩٢١ .

الروايات تقول إن دفعة الحكم الحقيقية في ظل حكومة عبد الرحمن عارف كانت بيد العسكر ، ومن أبرز رجالات العسكر الذين عُرفوا آنذاك في ظل حكومة عبد الرحمن عارف هم ( عبد العزيز العقيلي ، سعيد صليبي ، بشير الطالب ، هادي خمّاس ، طاهر يحيي ، رشيد مصلح ، عبد الرزاق عارف ، عبد الكريم فرحان ، عرفان عبد القادر ، عبد الغني الراوي ، صبحي عبد الحميد ، صالح مهدي عمّاش ) . المعلومات تشير إلى أن فترة عبد الرحمن عارف كانت فترة النخبة العسكرية المحيطة به .

وقد شهدت فترة حكم عبد الرحمن عارف -  
ثمانائة واثنين وعشرين يوماً - محاولة الانقلاب  
العسكري الثاني لعارف عبد الرزاق الموصللي ، وهو  
كما نعلم

ناصرى الهوى إلى حد الاشباع الممل ، وكان طيار  
الملك فيصل رحمه الله .

وكانت أبرز شخصية مدنية في عهد عبد الرحمن  
عارف - عميد كلية الحقوق - الدكتور عبد الرحمن  
البزاز ، رئيس وزراء العراق في آخر حكومة عبد  
السلام عارف التي شكَّلت بتاريخ (٢٤ أيلول  
١٩٦٥ - ١٣ نيسان ١٩٦٦) حيث برز كأمر واقع بعد  
مقتل عبد السلام عارف ، وبحكم هذه المخرجات  
شغل البزاز رئاسة الجمهورية العراقية بالنيابة لمدة  
ثلاثة ايام (١٣ نيسان ١٩٦٦ - ١٦ نيسان ١٩٦٦) ،  
ورشَّخ نفسه لرئاسة الجمهورية وفاز بأغلبية صوت  
واحد على عبد الرحمن عارف ، ولكنه تنازل لهذا  
الاحير ، ويقال أن كونه شقيق عبد السلام عارف

ساعد على هذا الاختيار ، ومنهم من يقول إن مجلس الدفاع الوطني ساهم بذلك مساهمة مؤثرة ، بل فاصلة ، وبدوره كلف عبد الرحمن عارف عبد الرحمن البزاز بتشكيل الحكومة الجديدة ، كان ذلك بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٦٦ ، وكأنها ذات التشكيلة الاولى ، بيد أن المهم إن حكومة عبد الرحمن البزاز الثانية هذه استقالت بتاريخ (٦ آب ١٩٦٦) ، فلم تمكث من العمر أكثر من خمسة أشهر ، وكان ذلك تحت ضغط الضباط الكبار الذين شكّلوا ما يسمّى فيما بعد بـ (المجلس الوطني للقوات المسلحة ) ، وعماده القائد العام للقوات المسلحة ، ورئيس أركان الجيش ، ونائب رئيس أركان الجيش ، وقادة الفرق ، وقائد القوة الجوية ، والحاكم العسكري العام ، والضباط المستوزرون ...

الحكومة الثانية في فترة عبد الرحمن عارف كانت برئاسة السيد طاهر يحيى ، وهذا الرجل من تكريت ، عسكري تقليدي عريق ، تسلّم منصب رئاسة



الوزراء لأكثر من مرّة لأربع مرّات ، ثلاث مرّات متوالية من ١٨ شهر تشرين الثاني ١٩٦٣ — حيث أسقطت حكومة أحمد حسن البكر — حتى ٣ أيلول ١٩٦٥ ، وكانت وزارته الرابعة بتاريخ ١٠ تموز حتى سنة ١٩٦٨ ، حيث تمّت الاطاحة بحكم عبد الرحمن عارف .

البنية الحقيقية لفترة عبد الرحمن عارف تستند في التحليل الأخير إلى المجلس الوطني العسكري ، وكان في وقته قد تشكّل عندما أطاح عبد السلام عارف بالحكم البعثي في ١٨ تشرين ٦٣ ، وبالتالي ، من المفيد جدا الرجوع إلى هذه الخلفية لدراسة الهوية الحقيقية للحكومة ، حكومة العارفين .

تأسس مجلس الدفاع الوطني من الاسماء التالية:-

١ . اللواء الركن عبد العزيز العقيلي ، موصل ، سني المذهب ، ملتزم دينيا ، معارض للناصرية والقومية ، ينقلون عنه وطنية صارمة .

- ٢ . وزير الدفاع عبد الرحمن عارف ... الجُميلي ،  
مسلم الديانة سني المذهب .
- ٣ . رئيس أركان الجيش وكالة اللواء الركن سعيد  
صالح القطان ... عاني ، مسلم الديانة سني المذهب
- ٤ . معاون رئيس أركان الجيش اللواء حمودي  
مهدي .
- ٥ . المعاون الاداري لرئيس أركان الجيش سعيد  
صليبي ... الجميلي ، من أهالي الرمادي ، مسلم  
الديانة سني المذهب .
- ٦ . قائد موقع بغداد العميد الركن محمد زكي  
حلمي ،
- ٧ . قائد الفرقة الاولى اللواء الركن إبراهيم فيصل  
الانصاري ، موصل ، مسلم الديانة سني المذهب
- ٨ . قائد الفرقة الثانية اللواء الركن محمود عريم  
... من الدليم ، مسلم الديانة ، سني المذهب .

٩. قائد الفرقة الثالثة الزعيم الركن يونس عطار  
باش ، موصل ، مسلم الديانة سني المذهب ، من  
كتلة الموصل العسكرية .

١٠ . قائد الفرقة الرابعة اللواء الركن محمد نوري  
خليل .

١١ . قائد الفرقة الخامسة العقيد الطيار حسن  
رجب عريم نيابة عن الطيار منير حلمي الذي كان  
في وقتها في زيارة رسمية الى موسكو .

١٢ . قائد القوة الجوية والمقدم البحري مهدي  
درويش الخطيب .

هذه التركيبة هي التي كانت ترسم الخطوط  
العامة والخاصة لإدارة شؤون البلد من خلف ستار  
، وبعض هؤلاء من تركة ( كتلة الموصل العسكرية  
) ، وهي الكتلة التي يريدون بها مجموعة من كبار  
ضباط الموصل ، وقد كان لهم دور رائد في تاسيس  
الجيش العراقي ، وبناءه طوال الفترة الممتدة من

سنة ١٩٢١ حتى سنة ٢٠٠٣ ، وقد أُنيطت به مهمّة إدارة العمليات العسكرية في داخل البلد وخارجه ، ولم يكن تأثيرها غائبا في إضفاء النتائج النهائية في إختيار رئيس الوزراء ، واعلان الحروب ، بل وحتى في بعض الاحيان تقرير سياسة البلد الخارجية .

ومهما يكن من أمر فإن خلفية العسكر الذين كانوا يجرّكون الخيوط من وراء ستار في فترة عبد الرحمن عارف كانوا متوزعين بين الموصل والرمادي بشكل رئيس ، ولهذا الانتفاء تأثير بنسبة وأخرى في حسم القضايا المهمة في المضمار السياسي للبلد ، ولا يستبعد المرء من وجود - وإن دون قصد مسبق - حساسية بدرجة وأخرى من الشيعة والتشيع .

ولكن أعود لأقول :-

إن الوضع الشعبي العام ، إبان فترة العارفين كان مرتبكا ، ولم تكن هناك القبضة الحديدية التي تتحكّم بالناس ، بل شهد الناس بعض الانفراج ، فقد أطلق صراح كثير من المعتقلين السياسيين ، بما

في ذلك الشيوعيين ، واطلقت حرية الصحافة وإن بشروط ، وتحرك مشروع الاتحاد الاشتراكي الذي صمم على اساس تجميع قوى الشعب العاملة ... أقول :-

كانت الظروف متاحة لشيعة العراق لتأسيس كتلة شعبية عريضة صلبة ، تمتد ما أمتد الوجود الشيعي في العراق اكثريا كان أو أقليا ، في سياق تعاون مع كل مكونات الشعب العراقي ، يستند إلى رفض الطائفية السياسية والمذهبية ، وتكريس مفهوم المواطنة ، وإرساء مبدا التبادل السلمي للسلطة ، وإقرار مبدا العدالة مفهومها ومصداقا ، وحل الاختلافات بالطرق السلمية ، وعدم التفريط بشبر واحد من تراب العراق ، واحترام سيادة العراق وأصالة قراره السياسي ...

وكانت الفرصة متواتية للتواصل بين الشيعة برجالهم وزعمائهم من رجالات وزعماء العالم العربي ، والعالم الاسلامي ، من أجل كسر نطاق العزلة أو

الاعتزال الذي فرضناه على أنفسها.

وكانت هناك عوامل كثيرة يمكن أن تعزز فاعلية مثل هذا التوجه ، منها : -

١ . إن رئيس الجمهورية عبد الرحمن عارف كان يحمل نفسا وطنيا مفتوحا ، ومن خلال سلوكه السياسي لم تظهر لديه ميول طائفية سياسية أو مذهبية ، وهناك شواهد تؤكد أنه كان في مسعى للتقرب من المرجعية الدينية المتمثلة بالسيد محسن الحكيم ، ومن دلائل ذلك إنه وضع طائرته الخاصة في خدمة السيد الحكيم عندما قرر حج بيت الله الحرام ، وكان طاهر يحيى قد اجتمع بالسيد الحكيم أكثر من مرة ، بل ودّعه نيابة عن رئيس الجمهورية .

٢ . كان هناك التفاف شيعي رمزي عارم حول السيد الحكيم ، حتى أن الجنود الذين كانوا يتوجهون للقتال في شمال العراق يرسلون تحياتهم إلى عوائلهم عبر الإذاعة ، ولكن كان الجندي يبدأ سلامه إلى (آية الله العظمى السيد الحكيم) !

٣ . وكلنا يتذكر أن السيد عبد الرحمن عارف كان قد ارسل رسالة خاصة إلى السيد محسن الحكيم يعرض عليه آخر مستجدات القضية الفلسطينية حيث كانت حرب ١٩٦٧ التي مُني بها العرب بخسارة موجعة في حربهم مع اسرائيل ، مما يشير ولو خفية أن عارف كان يريد التقرب الى السيد الحكيم ثم شيعة العراق .

وعليه ، كانت هناك فرصة رائعة لتأسيس الكتلة الشيعية الشعبية الصلبة ، الكتلة التي تتعامل مع الازمة بهدوء ، بل وربما بالتعاون مع الحكومة .

ولكن الأنكى من ذلك ...

إن هؤلاء الشيعة بدل ذلك ، وبدل أن ينصرفوا لتأسيس كتلة شيعية شعبية ، اختطوا منهجا بعيدا كل البعد عن الواقعية ، فهم لم يفرّطوا بهذه الفرصة لتحقيق أحلامهم فحسب ، بل تعاملوا معها بفوقية و ( عنترية ) زائفة ، ومن أبرز الشواهد على هذا التعامل ( العنترية ) قصيدة الشاعر العراقي الشيعي

محمد حسين الصغير في جامع (براثا) بمناسبة المولد النبوي الشريف بتاريخ ٢٧ رجب سنة ١٣٨٧ هجرية الموافق ٣ / ١١ / ١٩٦٧ ، حيث كانت قصيدة ذات نظم رديء ، وفي الوقت ذاته - وهو الاله - مليئة بالتهجم على النظام العارفي الثاني ، مصحوبة بالتهديد والوعيد ، ومن الغرائب هنا أن تنقل مباشرة أجهزة الاعلام الرسمية القصيدة بكل شتائمها وبذاتتها وسبابها وتهديداتها ، ومن الغرائب بل ما هو أغرب من ذلك ، أن يُعتقل الشيخ اياما معدودة ، فتوكل للدفاع عنه محامون ، وخرجت مظاهرات تندد باعتقاله ، وتحول الشيخ الى بطل ، وفي خضم أخذ ورد بين الحكومة والشارع الشيعي وما بينهما أغلق رئيس الوزراء طاهر يحيى القضية !!!

هكذا يتكرر الواقع ، واقع الشيعة في العراق ، إنهم يعجّلون بتضييع أي فرصة سانحة لدخولهم التاريخ بإيجابية لصالح حاضرهم ومستقبلهم ، وفي هذا السياق وكما أتذكر قام رئيس الوزراء طاهر



يحيي زيارة الى كربلاء للمشاركة بحفل تأبين علي بن  
أبي طالب عليه السلام ، فانبرى الخطباء والشعراء  
ليجعلوا من طاهر يحيي مرمى مدافعهم وهجومهم  
، وكان الرجل صامتا .

لا أريد أن أدافع عن سياسة عبد الرحمن عارف  
، ولا عن موقف طاهر يحيي ، ولكن أريد أن أسجل  
نقطة هنا ، فإن الشاعر الكبير مجرد أن جاء البعثيون  
سكت وصمت ولم ينبس بينت شفة ، بل تحوّل  
الى يافطة دعاية للبعث ، وكثير من خطبائنا الذين  
انبروا لبيع البطولة بالهجوم على طاهر يحيي هربوا الى  
الكويت بعد ايام من مجيء حزب البعث الى السلطة  
، او عودة البعث الى السلطة ، وأي عودة كانت ؟

لست أدري هل هناك من مانع يحول دون تواصل  
علمائنا الكبار ، وزعماء الشيعة من الوجيهاء وذوي  
المكانة القيادية في الوسط الشيعي من التواصل مع  
الدولة برموزها ورجالها وقضاتها وقيادتها العسكرية  
لتأمين فرصة تفاهم وإن بحدود ما بين الشيعة

والدولة أو بين الشيعة والحكم ؟

إن هذه السياسة من دون مراجعة ومن دون استثناء  
تسببت في خسائر شيعية مفرجة .

لقد حاز الشيعة في عهد عبد الرحمن عارف  
على الكثير من المكاسب المادية والمعنوية ، وسيأتي  
الحديث عن بعضها في السطور الآتية ، وكان هذا  
التأجيل لاسباب فنية .

(١٠)

## وجاء البعث ليبقى

١

جاء البعثيون الى الحكم بانقلاب عسكري شارك فيه بعض رجال القصر الجمهوري الذين كان عبد الرحمن عارف قد إئتمنهم ، كان ذلك بتاريخ ١٧ تموز سنة ١٩٦٨ ، ومنذ الشهور الاولى تبدت سياسة الحزب تجاه معارضية وخصومه واعدائه ... تبددت إنها سياسة عنف باقصى إمكاناته ، ومن دون رحمة ، حيث تعلموا من التجربة الاولى أن لا رحمة مع مخالف بالرائ أو الموقف ، الموت أو القبول والاستكانة .

ومنذا الايام الاولى صدر كراس بعنوان ( في الثورة ) عن القيادة القطرية ، وقد أشار الكراس إلى خطرين يمكن أن يهددا الثورة حسب إصطلاح الكراس ،

بل يتهدّدان الثورة ، ثورتهم اساسا وحقيقة لا شك فيها.

الخطر الاول : الشوفينية .

الخطر الثاني : الطائفية .

والمقصود بالخطر الاول الاكراذ ، والمقصود بالخطر الثاني الشيعة .

وكانت لغة الكراس واضحة ، أن لا حوار ، المطلوب الاستسلام ، والآ فان القوة هي الحل . وكان الأمر كذلك .

ولأن مادة موضوعنا هم الشيعة ، فما الذي بدر من مواقف من جهة الحكم البعثي الجديد تجاه الشيعة بالاعتماد على القول بانهم كانوا يشكلون الخطر الثاني على الحزب والثورة ؟

كان الكراس بمثابة بيان الى كواد الحزب ، توضيح لسياسة الحزب تجاه الآخرين ، ولكن على

أرض الواقع بدأت المواجهة الحقيقية أو العلنية في صيف ١٩٦٩ ، علما أن المرجعية الدينية المتمثلة بالسيد محسن الحكيم لم تتخذ أي موقف علني صارم من الحكم البعثي الجديد ، أقصد في البداية ، وربما كان هناك تردد في ترسيم مثل هذا الموقف ، وذلك من حق السيد الحكيم ، فإن فترة زمنية ينبغي أن تمر على مجيء هؤلاء كي تتضح أكثر النوايا والاهداف ، ومن ثم يتم أخذ الموقف المناسب .

الحزب الشيوعي العراقي كان ضعيفا ، وقد انشقت الحركة الشيوعية العراقية في تحديد الموقف من مجيء حزب البعث إلى الحكم من جديد ، ولكن على العموم كان هناك تخوف من سياسة البطش ، ونحن نعلم كان هناك انشقاق قد حصل في جسم الحزب أفرز فيما سمي بالقيادة المركزية ، بقيادة عزيز الحاج ، الذي اختط فلسفة الكفاح المسلح ضد حكومة عارف ، أو في البداية كان الامر هكذا ، ثم تطوّر بشكل دراماتيكي نشط في ظل حكم

البعث الجديد ، وقد شغل الكفاح المسلح هذا حكم  
البعث بسبب كونه فاعلا حقا ، وكان يمتلك قدرة  
هائلة على إرباك الحزب الحاكم ، الأمر الذي أضطر  
الحزب الحاكم إلى الانصراف مؤقتا عن الاصطدام  
بالمرجعية الشيعية ، كان هناك شبه ترُقُب صامت  
متبادل بين البعث والنجف ، كل منهما ينتظر خطوة  
الآخر .

يرى بعضهم أن تأجيل الصدام مع مرجعية  
النجف كان وراءها سرٌّ أعمق ، فإن حزب البعث  
كان يأمل ان يكون السيد محسن الحكيم بوصلة  
تفاهم بين حكومة العراق البعثية وحكومة شاه  
ايران لتسوية مشكل شط العرب ، حيث الغى الشاه  
اتفاقية سنة ١٩٣٧ ، فضلا عن شاه ايران كان يدعم  
أكراد العراق ، منذ ان اعلن السيد الملا مصطفى  
البرزاني تمردّه أو خروجه على حكومة عبد الكريم  
قاسم ، وبالتالي ، كان هناك أكثر من داع يحث الحزب  
الحاكم على تأجيل الصدام مع مرجعية النجف ...

رسالة الى السيد السيستاني

---

هل كان بإمكان مرجعية النجف أن تستفيد من  
هذه الحاجة ( البعثية ) إليها ؟  
لست أدري ..





## ولماذا بعد ؟

٢

إن هذا التأجيل لم يكن ساذجا ، بل مدروسا ،  
وإلا كانت هناك بعض الخطوات الجادة التي اتخذها  
البعثيون من شأنها إضعاف النجف ، وربما كانت  
خطوات تمهيدية لتوجيه الضربة القاصمة كما كان  
الحزب الحاكم يرى ويتصور .

في صيف ١٩٦٩ أقدم البعثيون على ما يلي :-

١ . إغلاق جامعة الكوفة قيد الانشاء التي اجازها  
عبد الرحمن عارف - وهي من مكتسبات الشيعة  
المهمة في زمن هذا الرجل المسالم ، الرجل الذي  
استضعفه شيعة العراق رغم ما قدمه لهم ، وهي  
هوية في سيرة الاجتاع الشيعي العراقي للاسف  
الشديد ، حيث يستضعفون من يُحسن إليهم ويريد  
أن يعوّضهم عن حرمانهم ، فيما يتخذون موقفا ذا

هوية معاكسة تمنّ يضطهدهم ويسلبهم حقوقهم ...  
أحدث بشكل عام بطبيعة الحال .-

٢ . تهجير الطلبة الحوزويين من ذوي الجنسية  
الايرائية ، وكان ذلك على مراحل ، فيما كان هؤلاء  
الطلاب في زمن حكومة عبد الرحمن عارف لا  
يجدون أي صعوبة بتجديد أقاماتهم ، واتخاذ مكائتهم  
الاجتماعية من الاجتماع ، وكانت نشاطاتهم الدينية  
والتبليغية على اوسع ما يكون ، حتى ان بعضها كان  
سياسيا موجّها ضد شاه ايران ، وكما هي عادة  
الاجتماع الشيعي لم يستثمر هذه الفرصة ، وبدلا عن  
ذلك بدا الخطاب الشيعي الغوغائي يتهجم على  
حكومة عبد الرحمن عارف ، ويستهن بها ، ويسخر  
منها ، ويعيب عليها ، ويستثمر المناسبات الدينية  
لترسيم البطولات والتهديدات بالثورة والتمرد ،  
واستمر الاجتماع الشيعي بهذا الموقف اللاعقلاني  
حتى مجيء البعث مرّة اخرى فكان ما كان .

٣ . تعطيل المجلة الاسلامية الشيعية الوحيدة ،

مجلة رسالة الاسلام التي كانت تصدر من كلية  
أصول الدين الشيعية .

٤ . بدأت حالات التضييق على الاحتفالات الدينية  
الشيعية الخاصة بولادة ووفياة إئمتهم عليهم السلام  
، فيما كانت هذه الاحتفالات مفتوحة على مصراعيها  
في عهد العارفين ، خاصة في عهد العارف الثاني ، رغم  
أنها تحوّلت في بعض الاحيان الى استعراض للقوة ،  
ومنبر تهديد للدولة أو الحكومة ، وفيما يجيء حزب  
البعث راحت هذه الاحتفالات تتقلص كما وكيفا ،  
وربما يتسبب أحيائها الى مصادرتها في الحال ، وتحول  
الحفل الديني الشيعي إلى سرديّة تقليدية ، فضلا عن  
كونه في الداخل بمثابة ثكنة أمنية ومخابراتية ، الأمر  
الذي لم تشهده هذه الاحتفالات إبان حكم العارفين  
خاصة عبد الرحمن عارف .

٥ . ملاحقة المنجزات الاجتماعية الخيرية التي  
اضطلعت بها جمعية الصندوق الخيرية التي ساهمت  
مساهمة نوعية في معالجة الكثير من حاجات المجتمع

خاصة الاقتصادية والصحية ، تلك لجمعية التي  
اجترحها السيد مرتضى العسكري رحمه الله ، والتي  
كانت أحد مبادئ الإسلام العملي .

إنها خطوات قد تبدو بسيطة ، ولكنها تمهد  
لخطوات أكثر مضاضا ، وبالفعل هذا ما حصل .

في خضم تفاعل هذه الاحداث دعا السيد محسن الحكيم علماء الشيعة إلى اجتماع جماهيري في بداية خريف ١٩٦٩ وذلك في النجف الاشرف لمعالجة الموقف، وقد القى بهذا الاجتماع السيد مهدي الحكيم رحمه الله كلمة السيد محسن الحكيم، والتي تضمنت بعض المطالب، كان على راسها الرجوع إلى احكام الشريعة فيما يخص الاحوال الشخصية، واعتبار المدارس الدينية (الحوزات) في النجف وكربلاء وسامراء والكاظمية مؤسسات يجب أن تحضى باحترام وحماية الدولة، وفتح المجال لزيارة العتبات الاسلامية المقدسة، وعدم حرمان أي مسلم من هذا الحق سواء داخل العراق أو خارجه ...

وكانت نقطة الحسم في الموقف بين حكومة البعث ومرجعية النجف تجسدت في اتهام حكومة البعث للسيد مهدي الحكيم بالjasوسية في سياق إتهام

مجموعة من الضباط والمدنيين بتدبير مؤامرة لقلب نظام الحكم البعثي بالتعاون مع مخابرات النظام الايراني .

كان هذا الاتهام نهاية المطاف في أي أمل يمكن ان يزرغ من هنا أو هناك لردم الهوة بين مرجعية السيد الحكيم والبعث ، حيث هرب السيد مهدي الى خارج العراق ، وساد الاجتماع الشيعي الارتباك والحيرة ، وتذكر بعض المصادر إن السيد محسن الحكيم رفض أي تحرك شعبي مسلح او غير مسلح ضد السلطة ، واختار الاحتجاب في بيته ، حتى سنة ١٩٧٠ حيث وافاه أجله المحتوم .

إن استفراس حزب البعث وشراسته في التعامل مع الشيعة سببها الشيعة أنفسهم ، هم الذين شجعوا حزب البعث على هذا الاستفراس في التعامل معهم ، وهذه الشراسة في الموقف من الشيعة ...

كيف ؟

إن شيعة العراق وبقيادة المرجعية الحكيمة لم تستثمر الانفتاح العارفي عليهم ، كان بإمكان الشيعة بقيادة المرجعية الحكيمة أن تؤسس لكتلة مليونية شعبية شيعية صلبة ، تتعامل مع العارفين بالحسنى ، رغم وجود كل عوامل التأسيس لمثل هذا المشروع ، كانت الحرية النسبية ، وكان النشاط الشيعي المجتمعي متقدما الى حد ما من خلال المشاريع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وكان هناك الرغبة العارفية في التقرب الى مرجعية النجف صدقا أو كذبا .

إن رأس الهرم الشيعي لم يحترم هذا الواقع الحي ، بل لم تكن بمستوى إحترام هذا الواقع ، ولم تثمن إدراك العارفين خاصة عبد الرحمن عارف بأن الشيعة رقم صعب ، ويجب أن تُفتح صفحة جديدة مع هذا المكوّن الاكثري ، بل كما ذكرت سلفا ، إن الاجتماع الشيعي متمثلا بقياداته الروحية لم يعر أي احترام لهذه الفرصة ، ضيّعها ، كما ضيّع فرصا قبلها وفرصا بعدها .



ولكن أين موقع حزب الدعوة من كل هذه  
الملايسات والمفارقات ؟

حزب الدعوة لم يكن بالمستوى الذي يؤهله  
باقتحام ملايسات ومفارقات ذلك الواقع ، سلباً أو  
إيجابياً ، وذلك للأسباب التالية :-

- ١ . حزب حديث النشأة والتنظيم .
- ٢ . حزب عقدي بالدرجة الاولى ، لقد كان مشغولاً  
بالثقافة العقدية .
- ٣ . كان الحزب إلى حدٍ ما مشغولاً أو مفتوناً بنظرية  
المراحل .
- ٤ . لم يكن على مستوى استشراف المستقبل بحكم  
نشأته الحديثة ، وربما ذات الطابع السكوني إلى حد  
كبير .

٥ . وينبغي أن لا ننسى كانت هناك بعض الشروخ بين الحزب ومرجعية السيد الحكيم بدرجة وأخرى .

٦ . وتقول المصادر أن الحزب كان قد عرض على مرجعية السيد مشروع تجييش الجماهير الشيعية ، ولكن السيد الحكيم رفض ذلك ، وكان يقول ينبغي ان يبقى هذا الحزب سرىا ، وحسنا كان موقفه رحمه الله تعالى ، خاصة وإن الحزب لم يكن بمستوى مثل هذه المهمة ، فهو حزب كما قلت حديث النشأة وأسير الفكر المجرد تقريبا .

٧ . كانت بنية الحزب التنظيمية من الطبقة الوسطى تقريبا ، وذات نكهة قريبة من البرجزة في السلوك والممارسة الحياتية ، وليس من ذوي الانتماء الى القاع الاجتماعي ، فهو حزب الطلاب والمعلمين والاطباء والمهندسين ، ويكاد يخلو من كسب طبقي برولياري ، عمال ومهنيين وحرفيين وفلاحين ، وحزب هذه بنيته التنظيمية لا يملك القدرة العملية ، ولا حتى القدرة على التنظيم لمثل هذه المهات .

هنا نقطة جديرة بالانتباه ولها علاقة صميمية بما نحن فيه ،اي تقييم الاجتماع الشيعي في زمن العارفين ثم فترة حزب البعث .

لقد وجد حزب الدعوة ريعه التاريخي في زمن عبد السلام عارف وعبد الرحمن عارف ، كان نشاط الحزب في المرحلة العارفية قد بلغ الذروة ، محاضرات ، ومواكب طلبية ، وسفرات جماعية ، والمرابد المقدسة مزدحمة بالزائرين ، كانت فترة عنفوان دعوتي رائع ، ليس بفضل العبقرية التنظيمية للحزب ، بل بفضل طبيعة التوجه العارفي بشكل عام ، خاصة عبد الرحمن عارف ، وفي تصوري إن الحزب لم يقدر هذه النعمة الوجودية ، كانت فترة ذهبية للحزب في تأسيس كتلة شيعية عراقية مليونية صلبة ، وفق نظرية تنظيمية مدروسة ، ولكن السحر الاديولوجي ، الحلم الاديولوجي المفرط حالاً دون ذلك ، بل اجزم إن الحزب لم يفكر بهذا المستوى من الاستشراف والمضمون .

٨. جاء البعثيون ولم يضعوا في حساباتهم خطر الحزب بقدر ما كانوا قد وضعوا في حساباتهم المخاطر التالية :-

ألف : الخطر الكردي .

باء : خطر المرجعية بنكهتها الشعبية ، أو بقواعدها الشعبية .

جيم : خطر الكفاح المسلح الذي كان يقوده الحزب الشيوعي العراقي - جماعة عزيز الحاج - القيادة المركزية .

أما حزب الدعوة فهو بلا شك على لائحة المخطورات ولكن ليس بخطورة تلك التي ذكرتها قبل قليل .

ولم تكن تصفية الحزب صعبة فيما يأتي الوقت المناسب ، وكان ذلك فعلا ، فإن إعدام الكوكبة الاولى كانت بداية قاصمة عام ١٩٧٤ ، فقد أرتبك الحزب وتشتت وتفرّق ، ومن اسباب هذه السرعة في الإنهيار كونه حزبا ناشئا ، لم يخض التجارب المرّة

بعد ، ثم كان مكشوفاً رغم سرّيته المزعومة ...

كيف ؟

يأتي في ذلك حديث .

نعم ...

كانت هناك بقية ، ولكنها بقية خجولة ، وكنت قد  
عاصرتها تماماً ، ولكنه عاد وانتعش ضمن مخرجات  
جديدة بعد الثورة الاسلامية الايرانية .



( ١١ )

## وأين كان محمد باقر الصدر؟

١

يمكن أن أقسم نشاط الشهيد الصدر منذ حركة  
١٤ تموز الى استشهاده الكريم إلى المراحل النوعية  
التالية :-

المرحلة الاولى : مرحلة التأسيس الحزبي .

المرحلة الثانية : مرحلة الخروج من الحزبية .

المرحلة الثالثة : الإعداد للمرجعية .

المرحلة الرابعة : الاندماج في موج الثورة الاسلامية  
الايرائية .

وليس من شك لا توجد تحوم فاصلة بحدّ حسابي

صارم بين هذه المراحل ، هناك تداخل وتخرج بين هذه المراحل بشكل من الاشكال ، ودرجة من الدرجات ، وعليه ، من الصعب محاكمة وقراءة كل مرحلة من هذه المراحل بلغة الحوليات التاريخية المنعزلة بعضها عن بعض ، بل لا يوجد تاريخ حوليات منعزلة ، لا جزر منعزلة في جسم التاريخ.

وتقول المصادر أن السيد الشهيد - عمت عيني عليك يا عيوني انت - غادر مضمار العمل الحزبي راغما ، بطلب من السيد محسن الحكيم ، ومهما كان الامر فإن خروج السيد الصدر من خانة أو مساحة العمل الحزبي ساهم في تصعيد نشاطه العلمي الحوزوي باتجاه تسنم زمام المرجعية الدينية ، فهو حتما كان يرنو إلى هذا الهدف ، أن يكون المرجع الديني الأعلى ، ومن المؤكد إن الجمع بين الحزبية والسعي للمرجعية الدينية لا يلتئمان ، وتقول المصادر أن خروجه من الحزب تسبب بكثير من المماحكة بينه وبين الحزب ، ولست معنيا بهذا ، وإنما أريد أن



أثبت من أن المرحلة الثانية من نشاط السيد كان من أجل المرجعية ، ليس المرجعية بوصفها مؤسسة ، ذات خصائص ومهام معينة ، بل مرجعيته الشخصية ، أي أن يكون هو ( آية الله العظمى ) ، منافسا للمراجع الكبار ، وليس في ذلك أي ضير ، سواء شرعي أو أخلاقي .

٢

بدا السيد فعلاً الإعداد لمرجعيته ، توزيع وكلاء هنا وهناك ، تشكيل حوزة خاصة به ، والدليل الأكثر براعة هنا طبعه رسالته العملية ، التي كانت بحق فتح الفتوح في هذا العالم ، سنة ١٤٢٢ هجرية ، وكان عنوانها ( الفتاوى الواضحة ) حيث يشكل العنوان روح التحدي للساكن والغرور ، وهي بداية صارخة لإعلان مرجعيته ، رغم أن هذا الاعلان بدا قبل طبع الرسالة الجميلة ، ثم كانت هناك كراسات صغيرة تتضمن فتاواه في الصلاة والحج وغيرها ، وفيما تأكدنا أن هذه الكراسات كانت قبل الفتاوى فإن

دليلاً قوياً يتوفر من أنه أعلن عن مرجعيته قبل طبع الفتاوي، وأما إذا كانت بعد طبع الفتاوى فهذا دليل على مطلب آخر له علاقة عضوية بما أدعيه، ألا وهو السعي لإعلان مرجعيته، لا على شكل شخص مجتهد، بل على شكل مؤسسة خاصة به.

وفي هذه المرحلة انخفض مستوى الكتابات الفكرية الصدرية، الكتابات ذات النفس الحركي، السياسي، وتكثف الانتاج الاصولي والفقهية، وكان هناك عملان جباران قد أنجزهما السيد في هذه المرحلة، مرحلة التصدي للمرجعية، وهما:-

ألف: مشروع البنك اللاربوي في الاسلام.

باء: مشروع المرجعية الموضوعية.

إن روح كلا المشروعين يؤولان - من جملة ما يؤولان إليه - الى تأسيس كيانية شيعة مليونية صلبة، كتلة شيعة مليونية صلبة، ربما السيد لم يشعر بذلك، لم يشعر بما قد يؤول إليه مشروعاه خارج

نطاق مراميه الخاصة من المشروعين ، ولكن بفعل عوامل ذاتية وموضوعية قد تترشح مطالب ومشاريع لم تكن بوارد المؤسس أبدا.

إن مشروع البنك اللاربيوي حركة واقعية في جسد الامة ، في أهم تضاعيفها، أما مشروع المرجعية الموضوعية فيما تمعنا بنصوصه لاكتشفنا تصورا لكيان شيعي متماسك، أو يؤدي إلى ذلك ، فإن المشروع يستبطن قيادة خفية لملايين الناس ، لهم عقيدتهم الخاصة، وتصورهم الديني الخاص .

إن مشروع المرجعية الموضوعية بمثابة سحب البساط ( خفيةً ) من تحت أقدام الساسة والقادة العلمانيين ، وتحقيق كيانية شيعية متماسكة.

٣

ما هي سياسة السيد الصدر في مرحلة العارفين ؟

كذلك في مرحلة حكم البعث اللعين ؟

يبدولي أن السيد الشهيد كان يتحاشى الصدام مع

السلطة ، سواء في عهد عبد الكريم قاسم أو عهد العارفين أو عهد صدام حسين ، وليس صعباً أن نعلّل عدم اصطدام السيد الصدر بـ ( عبد الكريم قاسم ) بسبب أن السيد ما زال دون هذا النزال لصغر سنه ولإنشغاله بتأسيس الحزب ، ولغياب سبب عميق يقود إلى مثل هذا الموقف ، خاصة وإن عبد الكريم قاسم لم يكن صدامياً مع الشيعة ، بل متعاطف معهم رغم موقف السيد محسن الحكيم منه ، الموقف المتّسم بالتعالي والغرور وربما الاساءة ، بل وربما أكثر من ذلك .

ولم يكن هناك أي سبب موضوعي يدعو السيد الصدر للتصادم مع عبد السلام عارف ، أو عبد الرحمن عارف ، خاصة وإن مرحلة عبد الرحمن عارف كانت بمثابة ربيع الشيعة ، وكما سمعت أن السيد العسكري والسيد الصدر لم يكونا راضيين عن قصيدة محمد حسين الصغير الهجومية القاذعة بلا داع موضوعي ، ولا يتناسب مع موقف عبد

الرحمن عارف ذي النكهة الدبلوماسية الناعمة على أقل تقدير كما مرّ بنا سابقا.

ليس هناك اسباب موضوعية ، ولا ذاتية ، ولا شرعية ، تدعو الصدر الى التصادم مع العارفين ، ربما هناك عدم رضا ، أو هناك نقد ، ولكن ليس على مرأى ومسمع الشعب ، بل قد لا أكون مبالغا إذا قلت ان السيد محمد باقر الصدر « ربما كان مرتاحا بشكل عام من حكم عبد الرحمن عارف ، وحتى الصدام الذي حصل في الكاظمية بين الخالصة وآل الصدر لم يجز محمد باقر الصدر إلى المهاترة والمنازعة ، ومن المؤكد أن طبيعة محمد باقر الصدر الهادئة والمسالمة ، وكرهها للدم ، ونفورها من العنف ، وانغماسه بلغة العقل والمنطق ... كل ذلك كان يساهم في رسم هذا الموقف الصدري تجاه حكم العارفين ..

٤

لقد كان السيد الصدر بعيدا عن سياسة التصادم مع نظام حزب البعث ، ولعل تحريمه إنتهاء طالب العلم الحوزوي الى حزب الدعوة جاء ضمن سياقات هذا الموقف ، موقف النأي عن التصادم ، وإلا لماذا جاء التحريم في هذا الوقت بالذات ؟

هل هو الخوف على الحياة ؟

ولماذا لا ؟

هل هو الخوف على الحوزة ؟

نعم ، هذا من الاسباب المهمة قطعاً .

هل هو التخلص من عبء النضال السياسي والتفرغ للعلم الديني ثم تسنم زمام المرجعية في المستقبل ؟

لا يوجد أي مانع في قبول مثل هذا التفسير ولكن ليس على سبيل الحصر بطبيعة الحال .

لم يتحرّك السيد الصدر في مواجهة صدام حسين  
أو حكم الحزب الفاشي رداً على إعدام الشيخ عارف  
البصري وجماعته سنة ١٩٧٤ ، وقد أُعتقل سلام الله  
عليه مرّتين كما نعلم، الأولى في ذات السنة  
، وقد اطلق صراحه ليس تحت ضغط الرفض  
الجماهيري كما يقولون ، والثانية كانت سنة ١٩٧٧  
إثناء انتفاضة صفر ، وفي كلا الاعتقالين لم يدخل  
الشهيد باي معركة تصادمية مع النظام ، وما ازال  
اتذكر ان باب السيد كان شبه مغلق أمام الوافدين  
عليه للاستفسار عن الموقف المطلوب تجاه صدور  
قرار إعدام أو اعتقال شهداء حزب الدعوة سنة  
١٩٧٤ .

كان السيد الشهيد ينأى عن الاصطدام ولم يكن  
في وارد التخطيط في هذا الموضوع كما يدّعي البعض .

وماذا عن المرحلة الاخيرة ؟

يأتي الكلام فيما بعد .





( ١٢ )

## الظاهرة « الصدرية » ما لها وما عليها

ملاحظة: حديثي هنا عن الظاهرة قبل سقوط  
صدام حسين .

١

### الهوية العامة

ظاهرة محمد محمد صادق الصدر ، وبقطع النظر  
عن التفاصيل ، يرى البعض إنها بداية إنتعاش  
شيعي جديد ، أو يقظة شيعة عراقية ، وكأنها رد  
فعل على ما بدأ يعاينه الاجتماع الشيعي العراقي -  
قهرا أو اختيارا أو نتيجة المقربين - من كسل وخمول  
وخوف وارتعاب وياس وحنن .

هنا أسجّل النقاط المهمة التالية :-

- ١ . إن الانبعاث الشيعي أو ما يسمّى كذلك بجهود الشهيد الثاني كان بمثابة رد فعل روحي ، عاطفي ، ولم يكن بداية مشروع نهضوي فكري .
- ٢ . إن مشروع الشهيد الثاني كان جماهيريا ولم يكن نخبويا ، بل كان خال من النخبوية تقريبا ، سواء على صعيد الفكر المطروح أو بنيته الولائية .
- ٣ . وحتى إذا كان مشروعه - سلام الله على تلك الروح النبيلة - فكريا حضاريا إنقلابيا فإن ذلك كما يبدو كان مؤجّلا لديه ، وكأن ما قام به من «إستنهاض» مجرد بداية ، بيد أن القدر لم يمهلته تكملة المشروع .

- ٤ . إن مشروعه الذي بدأه رغم أهميته ولكن كانت له تداعيات خطيرة على بنية الاجتماع الشيعي ، خاصة على صعيد الحوزة العلمية ، فليس سرا أن خلافات عميقة تسبب به هذا « النهوض » بين فارسه السيد الصدر الثاني وبين رموز متقدمة في الحوزة ، المرجعية ، وما زالت آثارهذه التداعيات

متواجدة ، وربما ، بل كثيرا ما تخرج إلى السطح بقوة  
وعنفوان بين فترة وأخرى .

٥ . إن مشروع ( النهوض ) استند إضطرارا أو  
اختيارا الى جمهور عام ، والانخراط في تياره لم يخضع  
لأي ضابطة عملية ، كان أشبه بالساحة المفتوحة ،  
وبالفعل كان كذلك ، الامر الذي تسبب في إختراقه  
ليس أمنيا وحسب بل وحتى عقديا للأسف الشديد  
، وعليه ، لم تكن جماهيرية أو شعبية هذا النهوض خال  
من نقاط ضعف كما يصوره بعضهم ، بل هو كيان  
هجين ، ومشروع هذه هويته الجماهيرية سرعان ما  
ينفتق عن ظواهر خيفة ، وهذا الذي كان ، فمجرد أن  
استشهد القائد الكريم ، بدأت معالم التشقق المريب  
، ثم تحوّلت هذه المعالم إلى حقائق ، إنشاقات ليست  
سياسية وحسب ، بل حتى عقدية ، وانبثق الاتجاه  
الغالي من هذا الخليط العجيب ، وما زال الاتجاه  
الغالي نشطا ، سرّا وعلنا ، حتى أن سماحة السيد  
مقتدى الصدر أكد بان معركته الحقيقية اليوم ليست  
سياسية وإنما عقدية !!

إن السيد الشهيد محمد صادق الصدر تمكّن من حيث يعلم أو لا يعلم من تشكيل كتلة شيعية مليونية ، ولكنها لم تكن صلبة ، بل هشة ، والسبب أو من أسباب ذلك غياب التثقيف الداخلي ، والاقتصار على الشعارات ، وما يُقال عن موسوعة الامام المهدي عليه السلام من أنها زاد اسلامي ثقافي مجرد كلام إنشائي ، فإن هذه الموسوعة بما حملت من إطروحات معقدة ، وبحوث فقهية واصولية وكلامية لم تكن زادا ثقافيا لجماهير الظاهرة ، لا تصلح ، إنما كان إنتاجا اكاديميا صرفا ، لا يحرك مجتمعا ، ولا يؤسس لكيان عقدي متماسك على صعيد المتممين اليه ، وكانت خطب السيد رحمه الله أكثر مضاء في تحريك التاريخ من موسوعة الإمام المهدي .

لم تكن تلك الكتلة الشيعية الشعبية المليونية صلبة ، بل هشة ، ألا ترى معي كم فرّخت من كيانات وأحزاب ومجموعات ، بعضها اساء الى التشيع ، بل بعضها باع العراق ، ألا ترى معي أن هذه الكتلة الشيعية المليونية فيما تشئت هنا وهناك يكاد بعضها

يأكل بعضا؟

التيار الصدري ليس كتلة شيعة مليونية صلبة ، صلابتها من صلابة قائدها وليس من داخلها ، صلابة مُستعارة ، وإذا ما حدث حادث للسيد لا سمح الله ولا قدّر سوف تكون هناك مآسي لا يعلم مداها سوى الله عزّ وجل .

## ٢

### الجدور الاولى

إن ظهور « الصدرية » في زمن حكم صدام حسين ، وبهذه المواصفات ليست بعيدة عن مقدمات خطيرة كان الاجتماع الشيعي قد مرّ بها ، فإن كل ظاهرة اجتماعية لا تنشأ من فراغ ، فما هي مقدمات هذه الظاهرة التي نحن بصددها ، اي ظاهرة « الصدرية » في ظل حكم صدام حسين ؟

إن الهوية العامة لهذه المقدمات هي « الموت » ، الموت المادي والمعنوي ، الموت قهراً ...

١ . إعدام الكوكبة القيادية سنة ١٩٧٤ .

٢ . مجزرة صفر سنة ١٩٧٧ .

مجزرة رجب سنة ١٩٧٩ .

٣ . مجزرة الحرب الإيرانية / العراقية سنة ١٩٨٠  
والتي استمرت ثمان سنوات .

٤ . الحصار الاقتصادي الذي بدأ بتاريخ ٦ / آب  
١٩٩٠ .

٥ . مجزرة شعبان سنة ١٩٩١ .

هذه بعض المآسي التي مرّت على الشعب العراقي  
كان نصيب الشيعة من حملتها الشاقة والمدمّرة الحصّة  
الأكبر، بل إن بعض مفردات هذا التاريخ الدموي  
كان خاصا بالشيعة حصرا، وفيما تكلمنا عن مآسي  
الحرب العراقية / الإيرانية فإن تبعاتها كانت من  
نصيب الشيعة أكثر من غيرهم، أقللا لغلبة النسبة  
الديموغرافية لهذه الطائفة على نظيرتها السنية،  
فكيف إذا كان هناك تخطيط مسبق ليكون هذا  
النصيب المأساوي عن نيّة مسبقة ومقصودة؟  
وإذا ما راجعنا ودقّقنا في مأساة الحصار سنجد

وبكل سهولة ، إنَّ معاناة الشيعة بسببه افدح من معاناة الاكراد أو السنة ، فإن دول الخليج كانت تعالج بعض تضاعيف هذا الحصار بالنسبة للسنة بشكل وآخر ، كذلك الاكراد كان هناك من يعالج ذات الموضوع بالنسبة لهم ، فيما كان شيعة العراق بلا سند ولا ظهير ولا معين ، لا من أخ عقدي ، ولا صديق سياسي ، ولا عدو حاول ان يستغل هذا الواقع الماساوي لغايات بعيدة !

وإذا ما دققنا في بعض مجريات « الإنتفاضة الشعبانية » سوف نصطدم بكارثة هائلة ، فإن هذه الإنتفاضة قُمعَت أمريكيا ، وأهملت إيرانيا ، بل حوصرت ، وعتمَّ عليها عالميا ، فكان شيعة العراق محرقة بكل معنى الكلمة !

ماذا أريد أن استنتج من كل هذا السرد ؟  
إن هذه المقدمات المساوية الكارثية هيأت شيعة العراق لتقبل ظاهرة ( التدين الاستسلامي ) ، الخضوع لأمر الله !

هذا قدرنا ، وبالفعل ، فقد شهد الاجتماع الشيعي

بعد كل هذه المآسي موجة تدين مثيرة بسعتها  
وانتشارها ...

هذه الظاهرة كأنها كانت تنتظر من يستثمرها  
، تنتظر قيادة تستلم زمامها ، وكانت القيادة هي  
الشهيد محمد محمد صادق الصدر.

### ٣

## التهويلية والابتهالية

نعم ..

كان الموج الصدرى بمثابة ملاذ لشيعه العراق ،  
ملاذ روحي ، ينفشون من خلاله زفرة الالم والغربة  
والعزلة ، كان تجمّع شعار وليس بناء ، نلتقي في  
بحره بمختلف الاصناف ، ومن هنا ، تحوّل إلى  
مرجع تفريخ لأفكار غريبة ، ومبالغات في التصور  
والتقديس ، فليس مستبعدا أن نسمع من أوساطهم  
وفي اوساطهم ، إن الشهيد محمد صادق الصدر هو  
الإمام المهدي المنتظر بعينه ، أو نسمع من أوساطهم



وفي أوساطهم (أن كليتون كان يحذر الامريكان من السيد الشهيد وكان يلقبه بـ « الليث الأبيض » ) ، وإن السيد كان يقول ( إياكم أن تكونوا عبيدا بعد أن حررتكم ) ، وما شابه ذلك من تصورات بعيدة عن الواقع والتصديق . وقد امتدت هذه الظاهرة التهويلية الابتهالية والتقديسية المخيفة إلى حد لحظة كتابة هذه السطور ، وأكبر دليل على ذلك فتنة ( أصحاب القضية ) ، التي برهنت بشكل قاطع إن الظاهرة لم تشف من هذا البلاء الخطير ، بل ربما تملك القابلية الفذة على تفرخه وتميره ، وبين هذا وذاك كنا نسمع هتافا مليونيا ( لا تزعل يا علي ، مقتدى هو الولي ) ، (يا تزعل يابن البتوق أنت الرسول ) وما شابه ، بل يفوقه عنفوانا وضاوة ، ولا أعتقد أن ذلك من تخطيط مهندسين أو مصادر خارجية بقدر ما هو طبيعة تفكير الوسط ، خاصة منتسبي الوسط ما زال من الطبقات الفقيرة والمعدمة إلا ما ندر .

ولماذا نذهب بعيدا وها نحن نرى بين فترة وأخرى ظاهرة الانشقاقات العمودية والافقية في التيار ، فلم يقتصر الانشقاق على كيانات بل الكيان الواحد يتعرض الى تشققات وتشظيات ، وهو دليل على أن أصل الظاهرة لم تكن متسقة الفكر والتنظيم والرؤية والهدف والوسيلة .

يرى بعضهم أن الظاهرة في ذروتها كانت تعبيرا عن كتلة شيوعية مليونية متماسكة صلبة، وفي الحقيقة قد تكون كذلك في ظاهرها الخارجي ، إما في العمق فهي عبارة عن واقع متشظي، مخدّد ، ومهما بدا عليها من إحكام في التنظيم للوهلة الاولى بيد أنها ومن خلال هذه الانشقاقات الاميية المستمرة تبرهن على أن هذه الصلابة مجرد كلام .

الطاعة المطلقة ليست دليلاً على نظم محكم ، بل قد تشير إلى ظاهرة صنمية ، إنما النظم المحكم يعني التماسك الداخلي ، المتواشج عبر فكر محكم ، وثقافة محكمة ، وأهداف واضحة ، ووسائل مدروسة، أما

الاستجابة السريعة لأوامر القائد - على سبيل المثال -  
فهو ليس بالضرورة دليلاً على النظم المحكم.

#### ٤

### ولكن هناك إيجابيات أيضاً

ولكن هل تعدم الظاهرة الصدرية بكل مفارقاتها  
أي إيجابية؟

لا بطبيعة الحال ...

فقد كان لهذه الظاهرة أكثر من إيجابية لصالح  
العراق والتشيع ، فهي أولاً تكاد أن تكسر حاجز  
الخوف ، بل كسرتة بالفعل ، فإن المعلومات كانت  
تفيد بأن الوفود كانت تترى من صوب وحب  
لإحياء صلاة الجمعة في النجف الاشرف ، تتحدى  
جبروت صدام ، وجبروت أجهزته الامنية الظالمية ،  
وهي ثانياً بعثت شبه أمل في الوسط الشيعي من أن  
هناك من يتحدث باسمها وعن همومها وإن بمديات

بسيطة، كما أنها أعادت إلى حدٍ ما هيبة رجل الدين في المجتمع ، وأشاعت بعض المفاهيم الطيبة والمفيدة ، ومنها مفهوم المرجعية الناطقة رغم بعض التحفظ عن كيفية توظيفها ، كما أن الظاهرة شجّعت بعض رجال أو علماء السنة لأطلاق لسان النقد بحق بعض الظواهر السلبية في المجتمع ، وبعضهم أبدى تعاوناً أو شبه تعاون مع السيد الشهيد باتجاه بعض مشاريع الإصلاح الاجتماعي البسيطة ، والظاهرة وظّفت أو خلقت موجاً بشرياً يمكن أن يستثمره الواعون لصالح القضايا الوطنية والدينية ، والظاهرة أعادت للمناسبات الدينية بعض حيويتها وعنفوانها وبركتها ، وكأن حاجة أتباع أهل البيت إلى مثل هذه الظاهرة حقيقة كانت غائبة ، ولكنها فاجأتهم وقت الحاجة القصوى كما سنين لاحقاً .

إن الحكم على الظاهرة بين نعم ولا دون تأشيرة وسط بين الاثبات المطلق والنفي المطلق موقف غير عقلائي ، وإن المقارنة بين إيجابيات وسلبيات مثل

هذه الظاهرة ، ثم ترجيح الايجابيات كما نتصورها على السلبيات كما نتصورها أيضا ، ومن دون تسمية المفردات بعناوينها الصريحة ...

مثل هذه المحاكمة في تصوري القاصر خطأ.

الموقف الصحيح هنا في معتقدي القاصر هو التقييم المنصب على كل مفردة من مفردات الظاهرة على أفراد ، ثم تقديم البديل عن السلبيات - كما هو حكمنا - أو تصحيح مساره - كما نرى - وفي الوقت ذاته تحديد الايجابيات - كما نرى أنها ايجابيات - ومن ثم ترسيخها وتوسيع رقعتها .

وملاحظة بالصميم :-

ويبقى الكلام ...

هل ملأت الظاهرة الصدرية بعد صلاة الجمعة الفراغ الذي كان الاجتماع الشيعي العراقي يعاني منه ؟

الجواب بشكل عام :-

لا...

او

نعم...

ولكن ليس ذاك الميء الذي يعوّض .

ولكن هل من وصف لهذا الفراغ ؟

إن فراغ الاجتماع الشيعي الذي أتحدث عنه على وجه الخصوص هو الزمن الجذب الذي مرّ به شيعة العراق ، وابدأه لاسباب فنية منذ أن توقفت الحرب العراقية / الايرانية ، وإلا فإن جذورة ترجع القهقري إلى اللحظة التي جاء بها حزب البعث .

ولكن هل تعدم الظاهرة الصدرية بكل مفارقاتها أي إيجابية ؟

لا بطبيعة الحال ...

فقد كان لهذه الظاهرة أكثر من إيجابية لصالح العراق والتشيع ، فهي أولاً تكاد أن تكسر حاجز

الخوف ، بل كسرتة بالفعل، فإن المعلومات كانت تفيد بأن الوفود كانت تترى من صوب وحب لإحياء صلاة الجمعة في النجف الاشرف ، تتحدى جبروت صدام ، وجبروت أجهزته الامنية الظالمة ، وهي ثانيا بعثت شبه أمل في الوسط الشيعي من أن هناك من يتحدث باسمها وعن همومها وإن بمديات بسيطة، كما أنها أعادت إلى حد ما هبة رجل الدين في المجتمع ، وأشاعت بعض المفاهيم الطيبة والمفيدة ، ومنها مفهوم المرجعية الناطقة رغم بعض التحفظ عن كيفية توظيفها ، كما أن الظاهرة شجعت بعض رجال أو علماء السنة لأطلاق لسان النقد بحق بعض الظواهر السلبية في المجتمع ، وبعضهم أبدى تعاوناً أو شبه تعاون مع السيد الشهيد باتجاه بعض مشاريع الاصلاح الاجتماعي البسيطة ، والظاهرة وظفت أو خلقت موجاً بشرياً يمكن أن يستثمره الواعون لصالح القضايا الوطنية والدينية ، والظاهرة أعادت للمناسبات الدينية بعض حيويتها وعنفوانها وبركتها ، وكان حاجة أتباع أهل البيت إلى مثل هذه

الظاهرة حقيقة كانت غائبة ، ولكنها فاجأتهم وقت الحاجة القصوى كما سنبين لاحقا .

إن الحكم على الظاهرة بين نعم ولا دون تأشيرة وسط بين الاثبات المطلق والنفي المطلق موقف غير عقلائي ، وإن المقارنة بين إيجابيات وسلبيات مثل هذه الظاهرة ، ثم ترجيح الايجابيات كما نتصورها على السلبيات كما نتصورها أيضا ، ومن دون تسمية المفردات بعناوينها الصريحة ...

مثل هذه المحاكمة في تصوري القاصر خطأ.

الموقف الصحيح هنا في معتقدي القاصر هو التقييم المنصب على كل مفردة من مفردات الظاهرة على أفراد ، ثم تقديم البديل عن السلبيات - كما هو حكمنا - أو تصحيح مساره - كما نرى - وفي الوقت ذاته تحديد الايجابيات - كما نرى أنها ايجابيات - ومن ثم ترسيخها وتوسيع رقعتها .



## المشهد المخيف قبل سقوط صدام

الاجتماع الشيعي العراقي خضع لعملية تهزيل - من الهزلة - عملية تهميش ، عملية تحجيم معنوي وديموغرافي ، عملية تغييب تاريخي ، عملية سلخ وطني ، عملية تطبيع على الذل والهوان والشعور بالغرابة ...

وكانت العملية معقدة وبارعة ، ولها أجنحتها وآلياتها المتطورة ، ولم تكن عبارة عن مواقف سريعة ، خاضعة لقانون ( الفعل ورد الفعل ) ، ولأنها كانت عبارة عن عملية مستمرة ، مدعومة بالفكر الاقصائي ، والهدف المقصود ، والقوة ، والتهديد ، فإنها تسربت على شكل بنية معرفية سلبية داخل الذات الشيعية ، ممّا جعلها تمارس دورها فيما بعد بعفوية وسلاسة وانسيابية ، أي طبّعت الشخصية الشيعية على ذلك ،

ومن ثم آلت إلى إنتاج إجتماع شيوعي ساكن ، منحور ، متعب .

والآن ومن دون الدخول في التفاصيل ماهي معالم هذا الاجتماع منذ بداية العملية وحتى سقوط صدام حسين ؟

أستطيع أن أخصها بالنقاط الجوهرية التالية :

• تكاد الحوزة العلمية تفرغ من علمائها وطلابها ، حتى بدت المدارس العلمية في النجف الاشراف مجرد هياكل .

• مات المنبر الحسيني الواعي المتنور ، فلم يعد هناك الشيخ أحمد الوائلي ولا عدنان البكاء ولا جواد شبر وأضرابهم ، بل منابر كسيحة وربما مرتزقة أيضا .

• عُدت فرص العمل الدعوي الاسلامي الحزبي ، نتيجة القتل والبطش والملاحقة .

• تضاؤل منسوب الإنتاج الفكري الاسلامي ، بل إنعدامه تماما .

• الحصار الاقتصادي يأكل في لحمهم وينخر في

عظامهم .

• شبح الاغتيالات يراود كبار علمائهم ، بل مراجعهم بعد عملية الاغتيال التي طالت العلامة الغروي وغيره من أساطين المجتهدين ، بل والمرشّحين للمرجعية .

• الاتجاه الى التدين التقليدي ويبدو كان ذلك تحت ضغوطات كثيرة ، ربما منها مآسي الحصار ، ومنها بكل تأكيد التاريخ الجنائزي للشيعه منذ أن استلم صدام حسين زمام الحكم والتسلط على العراق بعد إقصاء أحمد حسن البكر .

• الانقطاع عن العالم بحكم الحصار ، كما هو حال أكثر العراقيين ، ولكن بالنسبة للشيعه كان أمضى وأقسى واوجع .

• انتشار ظاهرة الشعوذة والدجل ، وهذه الظاهرة ما زلنا نلمسها فاعلة نشطة في الاوساط الشيعية .

• انتشار ثقافة المعاجز والغيبيات ، وكما هو حال المعلم السابق ، فإن هذه الظاهرة ما تزال تمتلك مساحة عميقة في داخل الذات الشيعية ، بل العراقية

بشكل عام ، وما زلت أتذكر دعوى إن (شجرة  
السدر) علوية النشأة والاصل ، فلا يجوز قطعها  
ولا التحرش بها ، وانتشرت ظاهرة (العلق الاخضر)  
حتى في الدوائر الحكومية.

هذه هي ابرز معالم الاجتماع الشيعي العراقي  
، تاسست وتبلورت عبر زمن سريع ، بل خيالي  
بسرعته ، ونفوذه واستشرائه .

والظاهرة الصدرية لم تكن صالحة بما فيه الكفاية  
على مليء هذا الفراغ المخيف ، بل ربما ساهمت في  
تكريس بعض معالمه وصوره ...

والآن وقد سقط صدام حسين ، سقطت  
الديكتاتورية الغاشمة ، الديكتاتورية الفوضوية ...

(١٤)

## الاجتماع الشيعي: « بعيد » سقوط صدام

...٢٠٣/٤/١٠

١

لم يكن هذا اليوم عُرسا لدى كل العراقيين، فقد كان هناك الكثير من العراقيين اعتبروه يوم حزن وفاجعة وخسارة وربما بداية مستقبل مجهول، هناك البعثيون عن جد وإصرار وإيمان، وهناك سنة العراق بشكل عام، وهناك بعض الشيعة من مرتزقة النظام، وبالتالي، لم يكن هذا اليوم عرس العراقيين كما يعبر البعض، نعم، وبكل صراحة كان عرس الشيعة، شيعة العراق، وعرس الاكراد، كرد العراق، وعرس بعض سنة العراق ممن ظلمهم صدام، وفيهم الكثير في تكريت وعانة وراوة، عشائر وزعامات مدنية

وعسكرية.

ومهما يكن من أمر ، حيث بالنسبة لموضوعنا الذي نحن فيه ، اقول مقدمة لذلك .

إن شيعة العراق منذ تأسيس الدولة العراقية إلى يوم سقوط الديكتاتورية ، الاجتماع الشيعي العراقي مرّ بالمراحل التالية :-

المرحلة الاولى : منذ تأسيس الدولة حتى حركة عبد الكريم قاسم ، وكما قلت كانت فترة مظلمة ، لقد حرّموا على انفسهم المشاركة الفعلية في الحكم ، وحرّموا على انفسهم الوظيفة المدنية ، وحرّموا على انفسهم التعليم ...

ليس مطلقا ، ولكن بشكل عام ، وبالإضافة إلى ذلك كان هناك اصرار مسبق أن لا يكون لهم موطن قدم في الجيش ، قرار مسبق واضح الدلالة والغاية ، وعلى صعيد البنية الاجتماعية كان الاقطاع الشرس يتحكم بالسواد الاعظم من ديموغرافية هؤلاء الشيعة ، والاقطاع الشيعي قاسي مجرم ، لا يعرف الله ولا رسوله ، وكان هذا الاقطاع متخدما

مع كل حكومة تأتي ، او يدخل في مساومات مع رجال الحكم على تفاوت في الولاء والعداء بين هذه الحكومة وتلك ، وقراءة سريعة لكتاب ( عقود من حياتي ) للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء تكشف عن حقارة الاقطاع الشيعي ، وإما على مستوى الحراك السياسي الوطني فكان الشيعة وقوده ، النخبة الشيعية .

والخلاصة : كان اجتماعا بائسا بمعنى الكلمة.

المرحلة الثانية : منذ سقوط العهد الملكي وحتى مجيء حزب البعث ومن بعده حكومة العارفين ، فترة عبد الكريم قاسم ، وفي هذه الفترة انتعش الاجتماع العراقي ليس بسبب شيعة عراقيين عملوا على ذلك ، بل كان بفضل عبد الكريم قاسم الذي بعث فيهم جدحة الوعي الحقوقي ، خاصة بعد أن حقق لهم بعض حقوقهم التي لم يكونوا يشعرون بها أصلا ، ووجد الشيعة في زمن حكم عبد الكريم قاسم حقوقهم في القوات المسلحة ، وغيرها من

مواقع التوظيف الحكومي المتقدمة ، ولكن عبد  
الكريم قاسم لم يلق من المؤسسة الدينية الشيعية  
سوى العداء والرفض ، بل ساهمت أي مساهمة في  
اسقاط نظام عبد الكريم قاسم بالتعاون مع البعثيين  
وربما حتى الكويت !

المرحلة الثالثة : هي مرحلة العارفين بشكل عام  
، وكانت مرحلة الربيع الشيعي بكل صراحة ، وقد  
بينت فيما سبق اسباب ذلك ، ولكن الشيعة تعاملوا  
مع فرصة الحياة بتعالي وتكابر عجيبين ، فأضاعوا  
فرصة رائعة ، وقد شرحت ذلك مسبقا .

المرحلة الرابعة : مرحلة حكم حزب البعث ، وقد  
أذاقوهم الويل والثبور ، قتل وتشريد وتجويع وإهانة  
وتخوين وتحريق وتطويق ، وما يُقال عن الانتفاضات  
، انتفاضة صفر ورجب وشعبان لم تكن سوى رد  
فعل على ظلم وليس تعبيرا عن رؤية ثورية للحياة  
والحقوق والواجبات .

والنتيجة كان هناك مجتمع ساكن ، مخدّر ، ومحاوله



الشهيد الثاني لم تكن بالمستوى الذي ينقلهم من الرقدة إلى النهضة، وإنما هي محاولة هروب من اليأس والموت البطيء، لا أكثر ولا أقل، واكبر دليل على ذلك انها مرحلة التوجّه الى التدين الذي من شأنه تسلية الذات لا الذي من شأنه تثوير الذات .

والخلاصة : كان اجتماعا مظلوما مقهورا ، مشردا ، قُلِّصت جغرافيته الديموغرافية ، قتل علماءؤه ، نهبت أمواله ، فاستكان تماما أو يكاد .

الآن سقط حكم الطاغوت كما يقول المتدينون ...

٢٠٣ / ٤ / ٦

## فما الذي حدث ؟

أقصد من جهة الاجتماع الشيعي الذي سحقه صدام سحقا ، ودّمّر كل آماله .

كان هناك فرح شيعي عام بسقوط صدام ، بلا فرق بين متدين او غير متدين ، في الناصرية أو في بغداد ، عسكري أو مدني ، فقير أو غني ، فإن الجميع

على وجه التقريب تنفسوا الصعداء ، صدام إنتهى ...  
ولكن إلى جانب هذا كان هناك رفض للمحتل ،  
ويكاد يكون هذا الرفض عاما ، فإن شيعة العراق  
فرحوا بسقوط صدام ولكنهم رفضوا الاحتلال  
، وهو موقف جيد ورائع ، بيد أن هوية الرفض  
اختلفت من شيعة إلى شيعة ...

لم يكن هناك رفض ، بل كان هناك مقاومة هذا  
الاحتلال ...

لقد تحوّل الرفض إلى مقاومة ...

وكانت هناك أكثر من مدرسة لمقاومة هذا  
الاحتلال ...

الأول : المقاومة المسلحة ، وقد بدأت بوادر هذا  
اللون من المقاومة بعيد سقوط صدام بايام ، وكان  
على راس هذه المدرسة تيار الشهيد السيد محمد صادق  
الصدر ، حيث تولى قيادة التيار بعد استشهاد  
الميمون ولده السيد مقتدى الصدر حفظه الله .

الثاني : المقاومة السلمية ، بحجة إن المقاومة المسلحة غير مجدية لان ليس هناك تكافؤ بالقوة ، ثم أن مثل هذه اللغة تهدد السلم المجتمعي ، وتتسبب بمجازر مرعبة ، وهو الذي كان .

الثالث : السياسة والدبلوماسية ، والذين جاءوا مع الامريكان ، والذين اشتركوا في مجلس الحكم كانوا مع هذا التوجه ...

فما الذي كان بعد ذلك ؟

لقد اعلن التيار الصدري رفضه (للاحتلال) وشرع بطرح مشروع المقاومة المسلحة لإخراج المحتل الكافر ، وبالفعل ، حيث كانت النجف الاشرف هي الميدان الأول أو الساحة الاولى لتدشين هذا (الكفاح) الذي أسس له في العمق الفقيه المتشدد السيد كاظم الخائري وبتوجيه أو ضغط من قادة الجمهورية الاسلامية الايرانية ، ومن مفارقات هذه الحرب التي دامت لثلاثة أشهر متقطعة والتي حولت النجف إلى قاع صفصفا ، من مفارقاتها أن يُتهم السيد علي

السيستاني بانه كان طرفا فاعلا فيها ، طرف سلبي ، بل سلبي جدا ، حيث يتهم الصدرىون المرجع الكبير بأن مكتبه اخترع فكرة سفره الى لندن من أجل العلاج ليمهد الطريق إلى دخول القوات الامريكية الى النجف لضرب ( الثوار ) أو ( المقاومة ) ! وكان لهذا الاتهام ما كان من آثار سلبية على بنية الاجتماع الشيعي العراقي بشكل عام ، والشيعي النجفي بشكل خاص !.

واختصارا ...

هذه « المعركة » ... حرب النجف ، او التي سمّيت كذلك كانت من البداية إلى النهاية قد توزّعت على المقتربات التالية :-

المقرب الاول : كانت جزء من استراتيجة الجمهورية الاسلامية الايرانية في حربها ضد الشيطان الاكبر .

المقرب الثاني : المنظر الفتوائي كان السيد كاظم

الحائري ، وقد أطلق فتواه هذه وهو في مأمنه في قم / ايران .

المقرب الثالث : السيد مقتدى الصدر كونه القائد الاعلى للتيار الصدري الأداة المنفذة.

وكان لهذه الحرب تداعيات مصدّعة على المكوّن الشيعي ، حتى تصورها البعض إنها حرب بين السيد مقتدى الصدر والمرجعية الدينية المتمثلة بالسيد علي السيستاني ، فيما كان لحكمة الأخير الكلمة العليا في حل المشكلة ، فموجب ورقة المرجعية تم إخلاء المدينة ، مدينة النجف من جيش الاحتلال ومن جيش المهدي ، وتسليم مفاتيح الحضرة العلوية الى المسؤولين الرسميين بعد أن إنتزعها الصدريون من الخدمة بالقوة ، مما ألحق جيش المهدي سمعةً غير لائقة للاسف الشديد.

حرب النجف الاولى أسست لخلافات عميقة بين مكونات الشيعة ، بين الصدريين من جهة ومرجعية النجف من جهة أخرى ، كذلك بين الصدريين

ومثلي الاحزاب والقوى الشيعية ذات الصلة بشكل  
وآخر بسلطة الاحتلال ، وكان من تداعيات هذه  
الحرب أن تسرّب الخلاف داخل الكيان الصدري  
بالذات كما سنرى .

## ٢

كان المتوقّع ان تكون نهاية صدام حسين فترة ربيع  
حيوي بالنسبة لشيعه العراق ، وسوف يكون ذلك  
على يد زعامات وقيادات ورواد الاجتماع الشيعي  
المعارض ، الآتي مع الامريكان ،، ولكن لم يكن هذا  
الامل بمحلّه ، ومن علائم ذلك الانقسامات الاميية  
التي نخرت هذه الاحزاب والتشكيلات !

فقد اسس إبراهيم الجعفري حزبه ( الاصلاح )  
بالانشقاق من حزب الدعوة الام ، كما انشق عبد  
الكريم العنزي ليشكّل حزبه الخاص به ، إنشق سنة  
٢٠٠٩ ، وهو في الاساس كان من مؤسسي حزب  
(تنظيم العراق ) المنشق أصلا عن حزب الدعوة  
داخل ايران ، لاسباب عقديّة كما كانوا يقولون فيما

ظهر فيما بعد أن الانشقاقين كانا بسبب مكاسب سياسية ومالية ، وانشق كذلك عن حزب ( تنظيم العراق ) جماعة أخرى غير جماعة العنزي، كان الانشقاق بقيادة ابن هاشم الموسوي زعيم حزب ( تنظيم العراق ) هاشم الموسوي ، وانشقت منظمة بدر عن المجلس الاسلامي الاعلى ، أما على صعيد التيار الصدري فقد شهد انشقاقات خطيرة ، فكان هناك عصائب أهل الحق ، ومن هؤلاء أنشق النجباء ، ومن النجباء انشق الاوفياء ، ومن اصل التنظيم تأسست جماعة كتائب الامام علي ، والخراساني ، وجند الامام ، وانقلب السيد عمار الحكيم على المجلس الاعلى وجرّده من حضوره وموقعه في العملية السياسية .

وهكذا تشطّرت وتشظت الساحة العراقية الشيعية بما يثير القرف والجزع ، فكأنما كان سقوط صدام حسين فرصة مبيتة لتمزيق شيعة العراق !!

ولم يقتصر الأمر على الانقسام والتشتت بل تعدى ذلك إلى الأقتتال الداخلي ، إلى حد إراقة الدماء ،

وتخريب الديار ، وقطع الرؤوس !

٣

ومما افرزه الواقع المرير أن هؤلاء القادة لا يحترمون الديموقراطية ، ولا يحترمون التاريخ ، وكّرّسوا ( التوريث الزعامي ) بشكل بشع ومريع ، ف ( عمار الحكيم ) ورث عن أبيه وعمه زعامة المجلس الاعلى ، و ( ياسر عبد صخيل ) وهو لا موقع له من تاريخ العمل السياسي سوى كونه من جماعة الصرخي ، ثم تدرج إلى شرطي ، ثم موظف ، وعلى حين غرّة يستلم زعامة حزب الدعوة العظيم ، ليس إلاّ لأنه قريب وصهر الامين العام لحزب الدعوة نوري المالكي ، ويرث السيد مقتدى الصدر مقام أبيه ، محمد محمد صادق الصدر ، ذاك العملاق ، اظهر من ماء المزن ، وليس هو بالكفو ، لا علميا ولا سياسيا ولا هبة !



هكذا بدت الساحة الشيعية أو المكون الشيوعي  
بعد سقوط صدام ..

ساحة هشة بكل معنى الكلمة.

وكارثة أخرى ، تدل على هزال هذا الاجتماع  
متمثلا باحزابه ومكوناته السياسية ، تلك هي  
العسكرة ، جيش المهدي ، سرايا السلام ، المليشيات  
المسلحة ، العصابات ، النجباء ...

اصبح الشيوعي مقترن بالسلحاح وليس بالفكر  
والمهارة السياسية والقيادة الجماهيرية والبناء .

لقد كشف سقوط صدام حسين عن اجتماع  
شيوعي متخلخل ، عصبوي ، طقسي ، عشائري ،  
عبودي ، سطحي ، مسحور بالوظيفة المدنية ، بعيد  
عن التفكير الاستراتيجي ، لقمة سائغة للوك الكلام  
، مذهري ، يقبّل أيادي مستغليه ، ينتظر الكلمة من  
رجل الدين أو العشيرة أو الحزبي ، لا يبادر ، يميل إلى  
كثرة العطل ، مبهور بالظاهرة الصوتية ، يمشي وراء

قاتله لا ناصحه ، غير مستعد لسماع المشكلة ، يخاف  
من الاستماع إلى النقد العميق ...

ولكن أين نضع هذه الانجازات ؟

رئاسة الوزراء ، ونيابة رئاسة النواب ، وتوظيف  
مئات بل آلاف من الشباب في مختلف الوزاراة ،  
وقانون الدمج ، ورواتب رفحاء ، وهذا التشكيلات  
العسكرية المخيفة المرهوبة الجانب ؟

سيأتي الجواب .

#### ٤

وكان شيعة العراق مطمئنين الى أن القوى السياسية  
الشيعية سوف تحقق لهم طموحاتهم ، طموحاتهم  
في إعمار مناطقهم ، ورفع مستوى أبنائهم الدراسي  
، وتهيئة الخدمات ، وفسح المجال لهم ليكونوا طاقة  
حيوية في الاجتماع السياسي ، ورفع الحيف عنهم ...  
ولكن الطامة الكبرى كانت هناك المفاجأة الصادمة،  
فهؤلاء وجلهم جاء من خارج العراق ، أهملوا

الطائفة ، وتوجَّهوا - تقريبا - إلى انفسهم وابنائهم واقربائهم ، وتحولوا الى امبراطوريات هائلة ، في المال والسلطة والنفوذ ، والانكى من ذلك جعلوا منهم حطبا ، يقاتلون بهم ، ويتصارعون بهم ، ويتنافسون بهم ، فكانت هناك الطبقة الحاكمة المتحكمة النافذة المتنفذة ، فيما هناك القاع الشيعي المرعب ، جهل وجوع وحرمان وتخلف ، وبين القمة الفاسدة والقاع المظلوم فراغ مخيف .

والانكى من سابقه أن هؤلاء الحكام ، القادة ، اثبتوا أن قرارهم السيادي مستورد ، وفي ذلك كلام كثير ، موجع مرعب ، بل كثير من هؤلاء القادة من يصرِّح بذلك علنا ، الامر الذي قدّم دليلا للآخر على ان الشيعي العراقي يفتقر إلى غريزة الانتماء الوطني .

والأنكى مما سبق ان مزقوا الاجتماع الشيعي أحزابا وكتلا وعصابات ومافيات .

ولكن ربما يكفي — كم يتصور البعض - رداً على  
هذه الافتراءات المقتربات التالية :-

المقرب الأول : إتسعت قاعدة التوظيف لدى  
الشيعة حتى احتلوا مناصب بالالاف في مختلف  
قطاعات التوظيف ، في كل الوزارات .

المقرب الثاني : مشروع «الدمج» عالج الشغور  
الشيوعي في القوات المسلحة .

المقرب الثالث : رئاسة الوزراء من حق الاجتماع  
الشيوعي ، كذلك النيابة الاولى لرئاسة النواب .

المقرب الرابع : منجز رفحاء .

المقرب الخامس : اثبت الشيعة دورهم البطولي  
الافتخاري في تحرير الوطن من خطر داعش ، كان  
شيعة العراق هم المدافع الحقيقي عن العراق في هذه  
المحنة التي كادت تضيّع العراق ترابا وأناسا وتراثا  
وتاريخا .

المقرب السادس : إن شيعة العراق هم الذين حافظوا على وحدة الوطن ، من خلال العمل على كبح الجموح الطائفي لبعض المحسوبين على الدين والوطن والتاريخ .

المقرب السابع : لقد اثبت الشيعة أنهم رقم صعب في العراق من خلال هذا الاحياء « المليوني » لذكريات مواليد ووفيات واشتتاهد أئمتهم ورموزهم الذين استشهدواها أو هناك .

المقرب الثامن : يدّخر الشيعة قوى عسكرية شبه نظامية وغير نظامية يمكن أن تكون بل هي فعلا - كما يقولون - ذخرا احتياطيا بل ذخرا فعليا لحمايتهم والدفاع عن اي محاولة لاستقصائهم أو فيميا تشابكت وتلاست الأمور فإن مثل هذه الذخيرة ستكون خير عون ودعم وإسناد .

والواقع إن كل هذه المقتربات لا تنبيء عن كتلة مكوّن مليوني صُلب ، بل هي مقتربات حتى إذا افترضنا ايجابياتها - بصرف النظر عن التفاصيل -

اشبه بالثريات الجميلة ، ولكن دون ناظم محكم ،  
يشد بعضها إلى بعض ، نابع من إيمان بمكوّن عقدي  
، ذي تاريخ وهوية ، ويواجه مصيرا مشتركا ، يضع  
الطوارئ الخطيرة في حسابه بدقة وعمق وروية ...  
فضلا ، عن ان بعض هذه المقتربات - الجميلة ،  
الايجابية - عبارة عن عنوان شخصي أو حزبي بحت ،  
لا علاقة صميمية له بالمكون هوية ومصيرا ، سوى  
ظاهرا ، أو حين يواجهه خطر الإحماء او الاستقصاء  
فيضطر الى التواصل مع المقتربات الاخرى .

وهل من إضافة ؟

نعم !

من سوء الحظ إن بعض هذه المقتربات وبفعل  
كونها ذات عناوين شخصية بحت ، وعنوانين حزبية  
صرف ، كثيرا ما تعاملت مع بعضها وفق قانون  
النفسي ، وبالتعاون مع مقتربات من فضاء آخر ، بل  
وبتشجيع علني وخفي من مقتربات غريبة ، وطالما

حصلت مواجهات دموية حقيقية في هذا المجال .

وهل من مزيد ؟

نعم !

إن الزيارات المليونية مجرد ظاهرة صوتية هائلة،  
واكبر دليل على ذلك إنها تنتهي بكل بهرجتها  
وملابينها ومظاهرها مجرد أن يتعدى زمنها ، ولم  
يترتب فيما بعد أي أثر بنيوي فاعل وفعال بعد أن  
تنتهي الزيارة المليونية ، ولست ممن يقوتدل :يكفي  
الاحتفاء بالذكرى).

وقد أثبتت التجربة من سنة تاسيس الدولة  
العراقية وحتى هذه اللحظة بإن هذا المكون  
يصنع النصر ويستثمره آخرون ، بل كثيرا ما كان  
ثمن النصر هو الموت والحرمان والجوع والاقتيال  
الداخلي.

وهل من خاتمة ؟

نعم !

جاء السيد علي السيستاني ليرسم لنا منهج  
الوحدة والتواصل والتكاتف والوطنية والبناء ،  
لنكون كتلة مليونية صلبة في خدمة العراق وشعب  
العراق ومصير العراق ، ليس من منظور طائفي ،  
ولا عرقي ، ولا مديني ، ولا حزبي ، ولا عشائري ...

بل من منظور وطني بحت ...

رفضناه وشككنا به وحاربناه ...

فكان الطوفان ...



(١٥)

## هدية الى الذين يتباكون على السيد هدام حسين

ملاحظة :-

إنبرى مجموعة من الكتّاب المصريين ، ومن ضمنهم محامين كانوا ضمن هيئة الدفاع عن صدام حسين خلال محاكمته بعد الاطاحة به ... إنبروا للدفاع عنه في مؤتمر أو تجمع دعا اليه بعضهم ، وللتاريخ ، إن هؤلاء لم يكونوا من الكتّاب أو المحامين المعروفين في مصر ، ورغم أن أصواتهم لم تغادر الصالة التي اجتمعوا فيها ، تصدى لهم كتّاب مصريون من ذوي الخبرة والفكر والدراية ، كان على رأسهم الكاتب المخضرم في السياسة الدولية الاستاذ عبد المنعم سعيد ، شخصيا استمعت إلى المؤتمر أو التجمع فكان

وكما سنرى عبارة عن خطابات ومديح وزعيق لا أكثر ولا أقل ، الامر الذي حداني أن اكتب مقالا في موقع (إيلاف) ردًا على هذا التجمع ، وكان للمقال ردود فعل جيدة جيدا كما كشف عن ذلك موقع ايلاف من خلال التعليقات الكثيرة والكثيرة جدا على المقال ، للفائدة أدرج هنا نص المقال مع بعض التغييرات السريعة حسب ما أستجد لي من حقائق تتصل بذات الموضوع فيما بعد .

### المقال

لم يكن في نيّتي أن أدخل في مثل هذه المواضيع التي صارت مملّة، ومن ثم قد تستغرق منا وقتنا نحن أحوج ما نكون فيه إلى تهدئة النفوس والخواطر والمشاعر، التي راحت تتأجج بشكل عدائي للأسف الشديد بين أبناء الأمة الواحدة والدين الواحد، ولكن ما سمعته في الايام الأخيرة بعد إعدام صدام حسين على لسان بعض من يسمون أنفسهم كتابا ويدّعون الإنتماء العربي، بل من يدّعون المحمول

الديمقراطي والوطني والإنساني من دفاع مستميت عن صدام، وربما عن إنجازاته أيضا، دفعني أن اكتب هذه الخاطرة وليس المقالة، ذلك أن مثل هذا الدفاع لا يستحق عناء فكر للرد عليه وتفنيده، وإلا أي خير جناه الناس من صدام ومن حكمة طيلة ثلاثين عاما ويزيد؟

هنا ، ولهؤلاء الابطال الأشراف الحريصين على شرف الامة والإنسانية أسطر لهم مئة مفارقة - ولا أقول جريمة كي أبتعد عن كل ما يسي للأدب العام وإن كان تساهلا -

١: لقد جاء صدام إلى الحكم بإنقلاب عسكري ورغما عن إرادة الشعب العراقي.

٢: مزَّق صدام نظرية الأمن القومي العربي باجتياحه الكويت.

٣: مزَّق العلاقات الإسلامية الإسلامية بهجومه على إيران.

٤: سنّ صدام قانون قطع الألسن ووشم الجبهات وقطع الأذان لمن يتهجم عليه أو يذكره بسوء أو يتظلم من حكمه بأي صيغة كان ذلك، وكان التوشيم والتقطيع يجري في الشوارع، امام النساء والأطفال والشيوخ.

٥: قتل صدام زوجي أبتيه، فسنّ قاعدة الحقد الأسري، فهو أسوة كما تقولون، والأسوة تُقلد وتُتهدى، أم هو كلام فارغ يا دعاة الأخلاق العربية؟

٦: دعم صدام حسين (ميشيل عون) بالسلح في حربته ضد كل الشعب اللبناني في حينها.

٧: خلق مشاكل بين العراقيين والحكومة الباكستانية بتوريده السلح إلى العشائر الإيرانية المناهضة لشاه إيران عبر الحدود الباكستانية بواسطة عملاء سفارته هناك، وقد أرسل حينها الدكتور احمد عبد الستار الجوارى لحل المشكل الكبير الذي خلقه للعراق والعراقيين، ولكن بقيت الحكومة الباكستانية تتعامل مع كل عراقي آت بريية وحذر...

٨: قام بأكبر عملية (ترييف) للعراق، وقد كتب في ذلك سعد البزاز كثيرا، وكثيرا، وكثيرا...

٩: قتل أكبر عقلية منطقية في العالم العربي والإسلامي، ذاك هو محمد باقر الصدر؟

١٠: أهان العلم والعلماء لما حكم على الدكتور عبد الأمير الصراف بالسجن لمدة سبع سنوات لأنه أنتقد شعاراته الاقتصادية الخاطئة في الجامعة الستنصرية، مثل شعار: من لا يعمل لا ياكل، وغيرها.

١١: ردم الأهوار وحرق بساتين الدجيل ودمر نخيل البصرة بحجة أنها أوكار للمتأمرين والخونة والجواسيس.

١٢: قتل وحرق وسمم عشرات الآلاف من الشيعة في جنوب العراق ووسطه.

١٣: حرق وقتل وسمم عشرات الآلاف من الأكراد العراقيين، ودمّر مئات القرى الكردية الآمنة بالكيماوي اللعين، حتى تحولت إلى شاهد تاريخي

عالمي على الحقد القومي الشوفيني؟

١٤: قتل آلاف المصريين في الثمانينات بالدهس والاعتقالات بحجة تجسسهم لصالح إسرائيل، وقد ضجت القاهرة بتواييت الضحايا المصريين، أم ماذا يا نقابة الصحفيين المصريين؟

١٥: سلط أولاده وأقاربه وأحباءه على الشعب العراقي يسومونهم الخوف والإرهاب والدمار، وهل ننسى قصة قتل عدي الابن الاكبر لذلك الطباخ المسيحي المسكين، وكيف تحوّلت إلى قضية مخزية ومخيفة؟

١٦: دفع مرتزقته الى كتابة سبع مقالات مخزية بحق شيعة العراق، واتهم نساء الاهوار الشيعيات أنهن بلا شرف وبلا حياء، وإنهن يرفعن ثيابهن حتى العورة للرائح والجاى، ولذلك هو جفف الاهوار، أي منطق هذا يا أحباء صدام؟

١٧: اعتدى على شرف العلم والعلماء لما وقف

يوما وهو يقول: لقد سمعت أن هناك شهادات  
دكتوراه وماجستير تُعطى زورا خاصة في الرياضيات  
والفيزياء، سوف أستدعي بنفسى حملة هذه الشهادات  
وأمتحنهم بنفسى؟ هل رأيتم غرورا كهذا؟

١٨: أهان الشعب العراقي أكثر من مرة لما أتهمه  
بأنه شعب جائع وعريان، وأنه هو الذي ألبسهم  
وأطعمهم، وكم كانت كلمته موجعة لما قال (كان  
العراقي يدخل الهوا من زيجه ويخرج من بريجو)،  
لقد ثرتم يا كتاب مصر على السادات لانه قال  
يوما: أنا مسؤول عن لقمة عيش سبعين مليوناً،  
فماذا تسكتون على إهانة صدام هذه للشعب  
العراقي؟

١٩: باع نصف شط العرب للفرس «المجوس»  
ومن ثم نقض المعاهدة وسبب لنا حرباً ما جئنا  
منها غير الدمار والموت والخراب والخسران.

٢٠: كان يلعب بمقدرات ومستقبل الشعب  
العراقي كيف ما تحلوه أهواءه ونفسه، مرة

اشتراكية، وأخرى رأسمالية، وثالثة (نحن نغير القانون كم نريد).

٢١: وكم كانت مهينة لغة صدام حسين لما أمر بتوزيع دجاجة إضافية إلى الحصاة التموينية بعنوان (مكرمة السيد القائد) فأين شعوره النبيل بكرامة العراق والعراقيين يا من تتحدثون عن كرامة الأمة العربية؟

٢٢: وهل يتذكر المصريون لما وصف السيد لرئيس صدام الرئيس المصري حسني مبارك بأنه (... ) وقد أشار إلى ذلك مبارك في خطاب علني له، وهو يعلق على الاجتياح العراقي للكويت، متساءلاً: بالله عليكم هل رأيتم رئيس دولة يتحدث بهذه اللغة؟

٢٣: وكم كانت إهانة للشعب العراقي عندما وافق صدام أن تدخل فرق التفتيش الدولية غرفة نومه الخاصة، وفي وقتها قال السيد القذافي: لو كنت أنا بدل صدام حسين لأستقلت بعد أن دخل



المفتشون غرفة ساجدة (أشعر بالخجل والله من هذه النقطة، فهي ليست أخلاقي، ولكن ما ذا نعمل وما ذا نقول، وهناك من يدفعك دفعا لمثل هذا القول المؤذي، وإلا هذه حرمان يجب أن تصان، حتى لو إذا أصابك منها أذى).

٢٤: وهل ننسى يوم قال صدام حسين بعظمة لسانه وهو يعلق على مشروعه القاضي بتغيير قوانين الأحوال الشخصية بأن الفقه الإسلامي متحجر؟ أي والله يا حماس ويا جبهة العمل الإسلامي، أي والله..

٢٥: هل ننسى يوم أقدم على قتل رفاقه، وكان منهم ذلك الشهم النبيل عبد الخالق السامرائي، لا لشي سوى لأنهم معارضون، وحتى إذا كانوا متآمرين كما يدعي صدام، أليس للصحبة والرفقة مستحقات؟ وكلنا يعرف أن عبد الخالق السامرائي كان نبي الحزب لتزاهته وطهارة تاريخه.

٢٦: وكم كان قاسيا وهو يقتلع الكرد من مناطقهم وبيوتهم ويوزعهم في جنوب العراق وصحاريه، إذلالا

منه لهم، وإمعانا في تعذيبهم وتشيتتهم؟

٢٧: وهل ننسى تلك اللحظات المأساوية المخيفة يوم خرج مع رجل عجور كبير على شاشة تلفزة بغداد يمدح ذلك العجوز المسكين لأنه قتل ابنه عقابا له على تهريبه الخدمة العسكرية، ويعلق في رقبته قلادة النصر والتشجيع؟

٢٨: صدام حسين يا أخوتي شرع لنفسه (٩٩) إسما، وقد نشرتها جريدة الثورة العراقية على شكل مربعات موزعة على صفوف متدرجة، وفي وقتها نشرتها جريدة الأهرام المصرية، تحت عنوان بلا تعليق؟

٢٩: وهل ننسى أنه بنى له أكثر من ثمانين قصراً منيفاً، لا حاجة للكثير منها؟ وهل هذا إلا علامة طغيان وغرور ونقص نفسي قاتل؟

٣٠: ألم يكن من أصدقاء رامسفيلد؟ سبحان الله!

٣١: ألم تكشف الوثائق كم تلاعب صدام

بنفط العراق كرشاوي وعطائات مقابل مديح  
شخصي، وتبرير لممارساته الوحشية بحق العراقيين  
والعرب أجمع؟

٣٢: ألم يعمد صدام حسين إلى شق منظمة  
التحرير الفلسطينية وشكل جبهة التحرير العربية  
التي مارست في بيروت عمليات إغتيال بكثير من  
الفسلطينين؟

٣٣: ألم يقتل قادة العمل الفلسطيني الثلاث في  
الكويت، ممن كانوا أعمدة في منظمة فتح، يعول  
عليهم بقيادة العمل الفلسطيني الثقافي والسياسي  
والعسكري؟

٣٤: أليس هو الذي ورط الفلسطينيين بمعركة  
الكرامة ضد الجيش الأردني، ثم أنسحب، وقد  
صدّرت منظمة فتح في وقتها كراسا سريا بعنوان (إ)  
نزاليو بغداد، لا للحوار، لا لعدم الحوار)؟

٣٥: ألم يقتل جمهرة رائعة من علماء السنة

ومفكريهم، مثل عبد الغني شندالة، ومحمد فرج،  
وراجي عباس التكريتي وغيرهم وغيرهم.

٣٦: ألم يمنح نفسه رتبة عسكرية كبيرة، وهو لم  
يخدم يوماً واحداً في الجيش العراقي؟

٣٧: هل تتذكرون يا عرب عندما ضرب طه  
الجزراوي بـ (صحن) الاكل وزير الخارجية الكويتي  
في مقر إجتماع الجامعة العربية وهي تناقش الخلاف  
الكويتي العراقي، وبذلك سن صدام عادة سيئة  
ومسيئة للعرب والمسلمين، تلك هي تبادل اللكمات  
وضرب الصحون والملاعق بين الحكام والملوك  
العرب؟ هل هذه من أخلاق العروبة؟

٣٨: كان عدد اللاجئين العراقيين في الخارج في  
زمن صدام حسين أكثر من أربع ملايين عراقي،  
خوفاً من القتل والتعذيب والتهجير القسري، فأنشأ  
صدام أجيال عربية ضائعة، وتسبب في نقص سكاني  
عربي، خاصة وإن الكثير من الهاربين كانوا حملة  
شهادات عليا؟

٣٩: ألم يكن صدام هو السبب الرئيس والجوهري في مجي الأميركيان للمنطقة؟

٤٠: أليس صدام هو الذي ادخل الشعب العراقي في مواقف حرجة مع الشعوب العربية الأخرى، بحيث صار العراقي في الكويت والخليج ولبنان وليبيا مشبوها مخيفا، أو تلاحقه لعنة صدام التي صبها عليها الكويت وسوريا ولبنان؟

٤١: هل كان الحصار اللعين الذي تسبب في تشويه أخلاق العراقيين وصحة العراقيين وأقتصاد العراقيين إلا بسبب صدام وتعنته وسياسته؟

٤٢: من الذي دعا الى مشروع الجبهة الوطنية، ومن الذي جعلها بعد ذل كبش فداء لقتل الشيوعيين، وتدمير تنظيمهم وحزبهم؟

٤٣: من هو المسؤول عن إستجلاب المئات من الوهابيين وأصحاب اللحى والصوفيين من مصر ومن اليمن وغيرهما وزرعهم في العاصمة والأقضية

والضواحي، ينشرون فكرهم الضال، وحقدهم الطائفي، وحنقهم على كل المسلمين في العراق، بلا فرق بين سني أو شيعي؟

٤٤: من الذي سن قانون القتل على المكشوف، بزرع الديناميت في الجيوب، والإلقاء من على شاطئ، وكسر الأذرع والرؤوس علنا، وعلى مشهد الأطفال والنساء والشيوخ؟

٤٥: ألم يجعل صدام من الشيخ الجليل زايد بن نهيان أضحوكة إعلامية لما طرح الرجل مشروعه السلمي لحل المشكل بينه وبين الأمريكان، وكان مشروعا عمليا شفافا، لو أخذ مساره التاريخي لأنقذ العراق من كل هذه المأسى الدامية.

٤٦: تعالوا نساء... أين هو الحزب الشيعي العراقي في زمن صدام حسين؟ أين هي حركة القوميين العرب في ظل حكم صدام حسين؟ أين هو حزب الأخوان المسلمين في قانون حكم صدام حسين؟

٤٧: ألم يبق العراق أكثر من ثلاثين سنة بلا دستور دائم؟

٤٨: ألم يتحول العراق في زمن صدام حسين إلى دولة مخابرتية عسكرية سرية موحشة مخيفة، استخبارات ومخابرات وأمن وفدائي صدام ومخابرات الرئاسة واجهزة إغتيالات؟

٤٩: ألم يسن الحكم العراقي في زمن صدام شرعة إغتيال المعارضين في الخارج، من قتل حردان التكريتي في الكويت، من قتل رفاق إنقلابه العسكري الناييف وغيره في لندن؟ لم تكن هذه الظاهرة مسنونة في أنظمة الحكم التي توالى على العراق، حتى سنها صدام حسين في زمنه.

٥٠: من قتل عدنان خير طلفاح، من قتل محمد بن أحمد حسن البكر؟ من؟ من؟ من؟

٥١: سن صدام سياسة التهجير التي طالت الآلاف من العراقيين بحجة التبعية الإيرانية، ولنفترض أ

ن بعضهم إيراني الأصل، ولكن هل نسينا أن منهم من عاش أبا عن جد في العراق؟ ومنهم من خدم العسكرية في العراق؟ ومنهم خدم الدولة العراقية؟ ثم ألم تكن هناك جاليات تركية؟ جاليات باكستانية؟ لقد كان منطوقا غير لائق به كرئيس دولة مسؤول عن حماية مواطنيه، وعدم الخلط بين المذنب والبري إن كان هناك مذنباً.

٥٢: ولنفترض أن حزب الدعوة عميل، فهل يتوجب ذلك أن يصدر صدام قانون إعدام كل داعية بأثر رجعي، أي يعدم حتى إذا كان قد خرج من التنظيم قبل سنوات!! أليس هذا قانون الغاب يا ناس؟

٥٣: وما ذنب قتل قريب الداعية حتى الدرجة الثالثة أو حبسه أو طرده من العراق؟ لست ادافع عن الحزب المذكور، وليس لي علاقة بأي تنظيم سياسي، ولكن مجرد تساؤل للذين يدافعون ويكون على السيد صدام حسين.



٥٤: وهل ينسى المثقفون الذين يدافعون عن السيد صدام حسين، أن صدام نفسه زرع وجذرَّ عبادة الشخصية في الذات العراقية، فهل ننسى أن كل أفتتاح يجب أن يكون بأسم السيد الرئيس حفظه الله، وكل كتاب مدرسي يجب أن يُصدَّر بصورة السيد الرئيس، وكل إكتشاف يتوصل إليه طبيب عراقي أو مهندس عراقي إنما كان بفضل توجيهات السيد الرئيس؟

٥٥: وسؤال بسيط، من الذي أنقض مشروع الميثاق القومي بين سوريا وإعراق؟

٥٦: أليس مخابرات صدام هي التي قتلت الصحفي البحريني الشيعي في البحرين بالذات، وبسبب ذلك تأزمت العلاقات البحرينية العراقية؟

٥٧: هل ننسى مهزلة أبي طبر ومهزلة الخنطة المسمومة التي ارعبت الناس، وأدخلت في روعهم الخوف، وقد أكتشف فيما بعد أنها مساقاة لأغراض أمنية إحترازية؟

٥٨: وهل كان هناك مبرر لإستيراد فرق وهابية  
وزرعها في محيط بغداد، وعلى مشارف كربلاء إلا  
لأغراض طائفية مدروسة؟

٥٩: وهل هي إلا جريمة إدعاء الأختيار على  
صدام حسين رئيسا وقائدا بنسبة تسع وتسعين  
بالمئة؟

لست من دعاة اللعن، ولا من دعاة السب  
والتخوين، أكره هذه اللغة، وأحاربها، حتى بالنسبة  
لم يشر حني بالموسى، ويقتلني مئة مرة، ولكن من  
دعاة نشر الحقيقة بهدوء وعبر حوار منطقي عقلائي،  
علنا نصل إلى ما يخدم هذا العراق الجريح، الذي  
يعادل فقدته عندي فقد الحياة بكل ما تعنيه من  
معنى ودلائل، وإن الله وإناله راجعون.

[تبعث العراق] .

صدام تحكّم في تفكيره هذه العوامل :  
العامل الأول : هيئته النفسية التوّاقة الى الزعامة  
والقوة والترهيب .

العامل الثاني : تراكم التربية القروية بمنهجها  
وهويتها الجافة.

العامل الثالث : تراكم الشعور بالنقص والمهانة  
نتيجة إنتهاءه لعائلة متهممة بالارهاب والعمالة والذل  
والاستكانة .

العامل الرابع : تقاطيع وجهه التي لا تُسر ، ولا  
تبعث على الارتياح ، وكانت تسبب له أزمة داخلية ،  
وقد قرأت كتابا مهما للدكتور العبقري ( علي مردان )  
عن شخصية صدام ، أثناء إجراء عملية جراحية له ،  
فوصفه المرتعب من شكله وهيئته .

العامل الخامس : تراكم تربيته الطلفاحية التي  
كانت مشبعة بثقافة السلف الجافة .

والحقيقة عندما جاء حزب البعث إلى الحكم بعد  
الاطاحة بحكم عبد الرحمن عارف ، كان هدف  
الحزب أو منهجية الحزب هي :-

[تبعيث العراق ] ...

من الشمال حتى الجنوب ، ومن الشرق حتى

الغرب، واشتغل الحزب على ذلك بدأب ومثابرة، وربما حقق بعض النجاح، ولكن عندما تسلّم صدام حسين زمام الأمور تغيّرت استراتيجية حزب البعث العربي الاشتراكي، أو طرا عليها طاريء جوهري، حيث تولّى صدام مهمة تسيير مهام الحزب، وتحديد أهدافه، وتشخيص وسائله.

لقد بقي هدف التبعيث قائما، ولكن وفق سياسة صدام حسين وتصورات، ولما كانت هذه التصورات ليست عبارة عن فكرة مجردة، بل ممزوجة بعوامل بناء شخصيته وهيئته النفسية وتاريخه، ساوى بين تبعيث العراق بمعادلٍ موضوعي حسب فكره، ذلك هو (تكرتة العراق)، والنتيجة التي آلت إليه هذه المحاولة أن العراق لم يعد جمهورية بعثية، بل جمهورية تكريتية، ثم تطوّر الأمر، ففيما يصطدم صدام بعشائر غربية ذات انتهاء سني عربي شبه وهابي، متوطّنة في تكريت أصالة، أو تشكل تكريت احدى إمتداداتها من وقرى وأرياف أخرى، كأن تكون

الموفقية أو الناصرية نجده يقلص مفهوم ( تكررة  
( العراق ، ليقصر على عشيرته على نحو خالص  
، وكان ذلك من اسباب بعض ممارسات الارهابية  
بحق سنة ذوي أصالة عقديّة متينة الجذور ...

إذن :-

من تبعث العراق ألى (تكررت ) العراق ، إلى  
احتكار العراق لعشيرة ، أي عشيرة صدام حسين ...

